Coptology

الخداع اللغوي،
السبيل إلى فقدان الإيمان
والحياة الأبدية

"الرد على تُرَّهات الأنبا بيشوي مطران دمياط"

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٤

www.coptology.org

لماذا هذه الدراسة؟

في محاولته للدفاع عن المتنيح الأنبا شنودة الثالث، يستخدم الأنبا بيشوي مطران دمياط، براهين لغوية جوفاء بلا قيمة، من شأنها أن تخدع القارئ، وتؤدي –دون أن يدري– إلى فقدان الإيمان والحياة الأبدية، وهو ما غاب عنه في حمَّى العراك والصراع؛ لأننا إذا فقدنا الحياة الأبدية، لن يتبقَّ لنا شيءٌ يمكن أن يعطي لنا رجاءً في المثابرة. فقد نشر نيافته مقالاً بعنوان الرد على هجوم ضد مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث بخصوص مقال ورد في مجلة الكرازة في مايو ٢٠٠٧ بعنوان "عودة إلى موضوع الشركة في الطبيعة الإلهية". وذلك رداً على هجوم –مَن قال إنهم يسمون أنفسهم بالشباب القبطي– على البابا شنودة الثالث معلم الأجيال والمدافع عن الإيمان الأرثوذكسي وأثناسيوس القرن العشرين والواحد و(عشرين) وثالث عشر الرسل، (هكذا وصف هو الراحل المتنيح البابا شنودة). وقال إن رسالتهم تتضمن أسلوب وشروحات لها اتجاه د. جورج بباوي في مهاجمة تعليم قداسته (يقصد البابا شنودة)، وفي تزييف ترجمة أقوال الآباء القديسين الأُوَل. وأنه أعد هذا الرد ونشره حمايةً للعقيدة الأرثوذكسية السليمة.

بدايةً، نحن لن نرد على ما هو موجَّه إلينا من اتهامات شخصية، بل نغفرها له كما غفر الرب لصالبيه؛ لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون. أمَّا ما جاء في المقال ومتعلق بالإيمان، فذلك شأنٌ آخر.

والمطلع على هذا المقال يجد أن الأنبا بيشوي يورد نصوصاً لبعض الآباء قال إن مَن يدعون أنفسهم بالشباب القبطي ترجموها، وأن هذه الترجمة ترجمة خاطئة، وأورد هو ما قال عنه إنه الترجمة السليمة التي تتفق مع تعاليم البابا شنودة الثالث في موضوع شركة الطبيعة الإلهية، وبالتالي يكون تعليم البابا شنودة الخاص بنص ٢ بط ١: ٤ "شركاء

الطبيعة الإلهية" متفقاً مع تعليم الآباء، وذلك من خلال ردود متعلقة بثلاث عبارات للبابا شنودة، يقول في أولها: "يدَّعي البعض أن علاقتنا بالروح القدس عبارة عن شركة في الطبيعة الإلهية". والعبارة الثانية ينتهي فيها البابا شنودة إلى القول: "إذن الروح القدس في حلوله علينا ليس لتأليهنا، بل لمساعدتنا". والعبارة الثالثة يقرر فيها البابا شنودة: "إن حلول الروح القدس علينا هو حلول نعمة وليس حلولاً أقنومياً".

وأول ملاحظة لنا على هذا المقال، هي أن ما ورد فيه هو –في الأساس– هجومٌ سافرٌ على الأقنوم الثالث في الثالوث القدوس، أقنوم الروح القدس، وإنكارٌ لعمله في البشرية المفتداه في المسيح يسوع، وفي الكون، وأن ما وراء هذا الهجوم هو الجهل المطبق بأسس الإيمان المسيحي، وعمل الله الثالوث في التدبير، بل الأدهى والأمر هو الجهل المطبق بطبيعة العلاقة بين أقانيم الثالوث، وأن علاقة الآب والابن والروح القدس كأقانيم في الثالوث، تختلف جذرياً عن علاقة الثالوث بالإنسانية في التدبير.

والملاحظة الثانية على هذا المقال، هي المنطلق اللغوي الذي بنى عليه الأنبا بيشوي دفاعه عن المتنيح البابا شنودة. وكنا قد كتبنا فصلاً كاملاً في كتابنا "موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء"[١]، بعنوان: "الإيمان المسيحي بين فقه اللغة والتسليم الآبائي"، تعرضنا فيه لهذه القضية، وانتهينا فيه إلى أن فقه اللغة ليس قاعدةً لاهوتيةً تفسر العقيدة أو تشرح الإيمان، بل ونبهنا إلى خطورة هذا المنهج، ولكن يبدو أن الأنبا بيشوي لا يقرأ إلَّا ما يتفق وما يهوى. فإذا ما أعاد الأنبا بيشوي تفسير نصوص الكتاب المقدس على أساس وجود حرف جر أو عدم وجوده في نصٍّ ما، دون الأخذ في الاعتبار أساسات الإيمان والمحتوى الشامل للإيمان المسيحي الأرثوذكسي، يكون قد خرج عن دائرة التسليم الرسولي، حتى لو كان تفسيره اللغوي صحيحاً، وهو افتراضٌ لا مكان له، ولكن مع الفرض الجدلي بصحته، فهو يصطدم بما هو ثابت ولا خلاف عليه، وهو أن الله –في

---

(١) راجع كتابنا، موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٣٤١ وما بعدها، منشور على موقع www.coptology.com

العهد الجديد- مُعلَنٌ في شخص الابن، لا في نصٍّ أو في كتاب يخضع للتحليل اللغوي.

إذن فالقضية ليست قضية لغة، وليست قضية حرف جر معين أو حرف جر آخر، وإنما هي التعبير الصحيح عن الإيمان حسبما هو ثابتٌ في التسليم الكنسي المدوَّن في كتب الكنيسة، وأولها كتب الخدمات الكنسية الخاصة بالسرائر. لذا، فالمطلع على مقال الأنبا بيشوي يلاحظ ولأول وهلة، أن تركيزه على عدم وجود حرف الجر "في" في نص معلمنا بطرس السابق الإشارة إليه، جرَّه إلى إنكار عمل الروح القدس في الطبيعة البشرية، ونسبة هذا العمل إلى شبحٍ، أسماه مرةً "طاقةً"، ومرةً أخرى "قوة"، وثالثةً "نعمة"، وهو ما يُعتبَر من قبيل اختراع آلهة لا علاقة لها بالثالوث، فهي مجرد إحلال ألفاظ محل الأقانيم، الأمر الذي يترتب عليه تحوُّل العمل الإلهي إلى لفظ، وهذا أبشع ما يمكن أن يقع فيه إنسان ينتسب إلى المسيحية الأرثوذكسية.

على أن **ثالثة الأثافي** هي جنوحه إلى تطبيق هذا الخيال الجامح على علاقة أقانيم الثالوث ببعضها البعض، وجعله هذا ينسب إلى القديس كيرلس ما لم يقله، ولا يمكن لأحد أن يتخيل أن يقوله عمود الدين. ففي ص ١٦ من المقال المذكور، يقول الأنبا بيشوي: "ومن الواضح أن القديس كيرلس أيضاً يتكلم عن استقبال الروح القدس للطاقة من الآب والابن، وأشار إلى المعرفة والقدرة ... **وهذه ليست أنه يستقبل الجوهر الإلهي أو الطبيعة الإلهية من الآب والابن، لذلك نحن نؤمن بانبثاق الروح القدس من الآب وحده، ولكن نعلم أن القديسين قد تكلموا عن الطاقة الإلهية وليس الجوهر أنه صادر من الآب من خلال الابن في الروح القدس**، ولا يجوز الخلط بين الانبثاق الأزلي والنعمة الممنوحة في إرسال الروح القدس للكنيسة في الزمن بداية من يوم الخمسين".

ورغم تحذيره الوارد في نهاية عبارته التي أثبتناها بعاليه، إلَّا أن التشوُّش وعدم وضوح الرؤية في ذهن المطران سبب خللاً واضحاً في صياغة هذه العبارة بالذات، جعله يقع فيما حذَّر منه، أي الخلط الواضح بين عمل الأقانيم في علاقتها بالخليقة، وعلاقتها

بعضها ببعض، فقد تخيل أنه يدافع عن انبثاق الروح القدس من الآب فقط، ولكنه عندما قال إن الروح يستقبل الطاقة من الآب والابن، أنكر في الحقيقة تمايُز الروح القدس بالتقديس، وهو الصفة الأقنومية الخاصة بالروح القدس، وهنا ظهر أنه لا يعرف كيف يميِّز بين عمل الثالوث في شركة أزلية، وعمل الثالوث في التدبير. كما تخيل أننا نؤمن بأن الروح القدس منبثقٌ من الآب فقط، لأن الروح القدس يستقبل الطاقة من الآب والابن، ولا يستقبل الجوهر الإلهي أو الطبيعة الإلهية منهما. وهو قولٌ يعني أن قائله لا فكرة لديه على الإطلاق عن عقيدة الثالوث والإيمان المسيحي بالثالوث القدوس.

إن القاعدة الشهيرة لدى الآباء، والتي وردت عند القديس أثناسيوس في رسائله إلى سرابيون: "كل شيء من الآب في الابن بالروح القدس"، هي القاعدة التي تلخص علاقة الثالوث بالخليقة في التدبير، وهي تعني أيضاً –وهو ما تاه تماماً عن ذهن المطران– وحدة عمل الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، في حين أن عبارة المطران تشي بأن هناك تراتبية غير موجودة في الثالوث القدوس والمساوي. وأن الروح القدس ليس له ذات طبيعة الآب؛ لأنه لو كان له هذه الطبيعة لتساوى مع الآب في القوة والطاقة، ولذلك هو يستقبل الطاقة من الآب والابن، وهو قولٌ يطرح التساؤل عن مدى صحة إيمان الأنبا بيشوي بعقيدة الثالوث.

على أننا فضَّلنا أن يجيء ردُّنا على هذا المقال في دائرة أكمل وأشمل، وهي دائرة التدبير الذي تُظهِر حماقة ما يقال، دون الالتجاء إلى إثبات أيُّنا أصحُ ترجمةً –رغم أنه لا علاقة لنا بما قال إن الشباب القبطي، وليس نحن، قاموا به، وبالتالي يكون الزَّجُ بنا في هذا المعترك، يكشف عما يكنه لنا المطران من مشاعر– لأن الاختلاف على ترجمة نص من هنا ومن هناك، هو إضاعة للوقت والجهد، ولا طائل من وراءه؛ لأن عدد الذين يعرفون اللغة اليونانية وسط شعبنا عدد قليل، وهؤلاء يعرفون –بالتأكيد– أخطاء المطران. إضافةً إلى أن المسيحية –وهذا هو الأهم– ليست ديانة شريعة ونصوص، بل هي بشارة حياة، فلا يجب أن نسقط في الفخ الذي نصبه الأنبا بيشوي، فنُخضِع الإيمان المسيحي إلى فقه اللغة، لا لعلاقة شخص ربنا يسوع بالإنسانية.

القسم الأول

ما هو جوهر الخلاف،

ولماذا ترك هو وغيره عقيدة الثالوث؟

أولاً: ما هو جوهر الخلاف؟

لا ينحصر الموضوع في وجود حرف الجر "في"، أو عدم وجوده في نص الرسالة الثانية لمعلمنا بطرس الرسول ١: ٤، بل جوهر الخلاف هو:

عطية الخلود – الحياة الأبدية – القيامة من الأموات

* الخلود خاصٌ بالله بنصٍّ واحدٍّ صريح في (١ تيمو ٦: ١٦ "الذي له وحده عدم الموت").

* والحياة الأبدية: ليست صفةً ولا هي قدرة في الإنسان، بل "تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا" (رو ٥: ٢١).

* "إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم (من أجل حياة العالم)" (يو ٦: ٥١).

* أمَّا القيامة من الأموات، فيقول عنها رسول الرب: "إن روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١).

- هل هذا عمل طاقة؟

- هل التبني الذي يُعطى في سر المعمودية هو طاقة؟

إذا أجبتَ بنعم، تكون قد قضيت على الخلود – الحياة الأبدية – القيامة من الأموات.

لأن هذه هي هبات الابن في الروح القدس.

وأمَّا عن القوة والطاقة -ياباشمهندس- فيقول الرب يسوع نفسه بفمه الإلهي: "ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨)، فهل يمكن إذن فصل الطاقة أو القوة عن الروح القدس؟

كنت أرجو ألَّا تقع في هذا الخطأ الشنيع، فتكون بهذا قد جعلتَ من الطاقة إلهاً يعطي الخلود – الحياة الأبدية – القيامة من الأموات. وجعلت للطاقة إرادةً، وهو ما سقط فيه من قبلك أستاذك الأنبا شنودة الثالث عندما حوَّل أقانيم الثالوث إلى صفات: الوجود – العقل – الحياة، فصار الوجود يُرسِل، وصار العقل يُحِب، وصارت الحياة تقدس السرائر!! وهكذا يكون لدينا ثلاثة آلهة أخرى، أو بالحري صورة حديثة من بدعة سابيليوس؛ لأن الوجود والعقل والحياة هي بدعة سابيليوس وقد عادت إلينا في ثوب جديد، حيث الآب هو الوجود والابن هو العقل والروح هو الحياة، وهذه الصفات الثلاثة هي صفات شخص واحد، يجب أن يكون موجوداً وحياً وعاقلاً، وبالتالي ليس هذا إلَّا ثالوث سابيليوس (سابيليوس أنكر أقانيم الثالوث).

ثانياً: ما هي نتيجة الغرام بفقه اللغة؟

أرجو من الأنبا بيشوي أن يدرس كتاب الروح القدس للقديس باسيليوس ليرى أن غرامه بحروف الجر سوف يجر عليه كثيراً من المآسي، سبق أن وصفها القديس باسيليوس في كتابه عن الروح القدس، فقال:

"إن تطرف هؤلاء الناس يظهر في التدقيق حول الألفاظ والكلمات ... فهو ينطوي على قصد مظلم وماكر موجَّه ضد الإيمان الصحيح" (ف٢: ٤).

وفي ذات الفصل، وعن ذات الاهتمام بالحروف والكلمات، يقول:

"إنهم يثرثرون كثيراً حول الحروف لكي يدعِّموا رأيهم الخَرِف".

وعن المعنى الحرفي يقول معلمنا القديس باسيليوس:

"لأن كل من يقف عند المعنى الحرفي، ويشغل نفسه بحفظ الشريعة، يصبح كمن صار قلبه مغلقاً بالمعنى الحرفي اليهودي" (ف ٢١: ٥٢).

التقديس:

إذا لم يكن التقديس شركةً في الله، وإذا كان حرف الجر (في) الذي سبب لك ولكل الفقهاء الذي أسلموا اللاهوت المسيحي، وطبقوا عليه قواعد فقه اللغة، فهل غاب حرف الجر (في) عن الشركة **في** قداسة الله؟

يقول القديس بولس عن تأديب الله إنه من أجل المنفعة "لكي نشترك **في** قداسته" (عب ١٢: ١٠). وإذا كان حرف الجر "في ἐν" غاب هنا؛ فلأن حرف الجر "τῆς" هو أقوى في التعبير عن الفعل السابق، وهو حرفياً يعني يأخذ أو ينال:

μεταλαβείν τής αγιότητος αυτού

ولعلك، إن كنت تعرف اللغة اليونانية، أقول لعلك تدرك من اليونانية أن العبارة خاصة بقداسة الله الذاتية αυτού أي الأقنومية أو الشخصية. وإذا قلنا الأقنومية، فهذا حقٌ لا يجب أن يُحارَب؛ لأننا نريد عودتك إلى الإيمان، نريد لك الحياة لا الدينونة؛ لأنه ليس منا من يفتخر بأنه حديدي، أو أنه جزار يشوي الآخرين، نريدك أن تدرك قداسة الروح القدس؛ لأن الرب في كلامه للرسل قال: "اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠: ٢٢)، وهو نفس الفعل السابق في (عب ١٢: ١٠).

أمَّا ما يذكره القديس باسيليوس، فهو ما يجب أن يُكتب بغض النظر عن اتهامات الأنبا بيشوي؛ لأننا لا نكتب له، بل لكل الإخوة. وحسب ترتيب فصول كتاب الروح القدس، يقول المعلم الكنسي (بالفعل) لكل الكنيسة الجامعة، لا معلم الأجيال الذي لم ينل هذا اللقب إلَّا من قناة فضائية ومن مذيع واحد بعينه لم يدرس اللاهوت ولا التاريخ:

> "اتحاد الروح بالنفس (لاحظ حرف **ب**) يحدث عندما تختفي الأهواء التي تنمو في النفس بسبب اتحادها ومحبتها للجسد ... أمَّا الذين يتقدمون فهو يكللهم. يشرق على الذين تطهروا ... هكذا النفوس التي يسكن **فيها** الروح القدس وتستنير به" (ف ٩: ٢٣).

استعادة حياتنا السابقة في الفردوس

> "بالروح القدس استعدنا سُكنانا في الفردوس، وصعودنا إلى ملكوت السموات، وعودتنا إلى رتبة أو مكانة البنوة، وحريتنا لأن ندعو إلهنا الآب (غلا ٤: ٤ – ٦)، وشركتنا في نعمة المسيح، وتسميتنا أبناء النور، وميراثنا في المجد الأبدي ..." (ف ١٥: ٣٦).

فهل لدينا من يريد أن نخرج من الفردوس مرة ثانية، ونُطرد مثل آدم ولا نلحق حتى باللص الذي آمن؟ لماذا هذا الهدم المريع؟!

تقديس القوات السماوية

يتكلم ق باسيليوس في فصل ١٦ كله عن تقديس القوات السماوية:

"فالقوات النقية العاقلة التي تفوق الخليقة الظاهرة هي مقدسة وتظل كذلك لأنها تنال نعمة التقديس بواسطة الروح القدس" (ف ٣٨).

"وعليك أن تعتقد بثلاثة: الرب الذي يعطي الأوامر، والكلمة الذي يخلق، والروح الذي يثبِّت. وما هو التثبيت سوى التكميل بالتقديس. والتكميل بالتقديس يعني الثبات وعدم التغير والتمسك بالصلاح، فلا تقديس بدون الروح القدس، وقوات السماوات ليست مقدسة بطبيعتها، فلو كانت مقدسة بطبيعتها فلا يصبح بينها وبين الروح القدس فرق" (ف ٣٨).

والتقديس ياسيادة المطران العلامة، يقول عنه باسيليوس الكبير حقاً في نفس الفصل:

"يأتي إليهم من خارج طبيعتهم، ويُبَثُّ فيهم كمالهم بشركة الروح القدس"

ولذلك يضيف:

"لو افترضت أنك أزلت الروح القدس، تنحل قوات الملائكة، وتهلك الكراسي ورؤساء الملائكة، وكل شيء يسقط في الفوضى، وتصبح حياتهم بلا شريعة، ولا طقس يميز خدمتهم ..." (ف ٣٨).

سقوط الشياطين هو فقدان شركة الروح القدس

فإذا فقدنا شركة الروح القدس، عدنا إلى رتبة الأرواح النجسة فاقدة التقديس، وفاقدة العلاقة مع الله. الأمر جد خطير، وليس تمريناً على فقه اللغة وقواعد الإعراب.

> "ما يمكن أن تقوله الأرواح الشريرة: (ملعون يسوع ١ كور ١٢: ٣) المعادية، وسقوطهم يؤكد أن القوات غير المنظورة هي حرة وأن القوات الساقطة في حالة اختيار بيم الفضيلة والرذيلة، ولذلك تظل بحاجة إلى معونة الروح القدس لكي تثبت في التقديس، ولأنها لا تنال هذه المعونة تفقد حريتها" (ف ٣٨).

رؤية الله

نحن نرى مع القوات السماوية وجه الآب بالروح القدس، ولذلك يسأل باسيليوس الكبير حقاً:

> "كيف يمكن أن ترى القوات السماوية وجه الآب بدون الروح القدس؟ ... لا يمكن أن تستمر الحياة العقلية الفائقة وفق قانونها (رتبتها) بدون الروح القدس؟ إن ثبات العالم الروحي بالروح القدس هو مثل ثبات الجيش وقيامه وفق نظامه العسكري ولا يمكن أن يتحقق إذا غاب قائده، أو مثل انسجام الخورس الذي يتداعى إذا أهمل مديره القيادة ... وكيف يقول السارافيم قدوس قدوس قدوس، إذا لم يعلمهم الروح القدس الوقفات اللازمة" (ف ٣٨، راجع أيضاً ف ١٨: ٤٧).

لأننا نعاين صورة الله فينا بالروح القدس، وهكذا بدون الروح القدس نصبح عمياناً إلى الأبد ونعود إلى خاصة الشيطان.

الروح القدس هو روح الآب، وهو روح التقديس

يقول القديس باسيليوس:

"الروح القدس أقنومٌ حيٌّ متميزٌ بطبيعة التقديس الفائقة" (ف ١٨: ٤٦).

وعلى هذا الأساس يُسلِّم القديس باسيليوس لنا الفرق بين المخلوقات والثالوث القدوس، فيقول:

"قداسة الخليقة ليست كامنة في كيان الخليقة، بل توهب من الخارج من الله. أمَّا قداسة الروح القدس، فهي تملأ طبيعته، ولذلك السبب ذاته لا يُوصَف بأنه تقدس، بل بالحري هو الذي يقدس ويدعى أيضاً الصالح" (مز ١٤٣: ١٠).

وعندما تنال القوات السماوية تقديس الروح القدس يقول باسيليوس:

"القوات السمائية قد ثبَّتها الروح، وهذا التثبيت بكل يقين هو عدم الابتعاد عن الصلاح" (ف ١٩: ٤٩).

فصل القوة عن الأقنوم

في فصل ٢٤ يضع القديس باسيليوس أساسات التعليم الصحيح عن الروح القدس:

"١- المخلوقات تنال إعلان أسرار الله بواسطة الروح القدس. فلا يوجد آخر يعلن الله، بل الله هو الذي يعلن ذاته.

٢- والقيامة من الأموات وعطية الحياة الأبدية من الروح القدس

وبالروح القدس؛ لأنه "الروح حياة" (رو ٨: ١٠)، والرب نفسه يشهد بأن الروح هو الذي يحيي (يو ٦: ٦٣)" (ف ٢٤: ٥٦).

والسؤال الموجه للأنبا بيشوي هو ذات السؤال الذي سأله القديس باسيليوس: كيف يمكن أن نفصل الروح القدس عن قوته الإلهية المحيية وتنسبه إلى الخليقة (إلى مخلوق) المحتاجة إلى الحياة؟ (ف ٢٤: ٥٦).

ولماذا لا يجب أن نفصل؟ يقول باسيليوس:

"حقاً إن الروح هو عطية الله؛ لأن شريعة روح الحياة هي التي جعلتنا أحراراً (رو ٨: ٢)، وعطية القوة "لأنكم ستنالون قوةً متى حلَّ الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨)، **فهل لذلك السبب نستهين به؟**" (المرجع السابق).

أليست نهاية هذه الفقرة تحذير لك يا أنبا بيشوي، ولكل من يريد أن يخلق آلهة متعددة اسمها القوة والنعمة والطاقة؟ ولذلك يكمل القديس باسيليوس نوع الاستهانة بالروح القدس، ويقول:

"ألم يُعطِنا الله الآب نحن البشر ابنه الوحيد عطيةً، ولذلك قيل: "الذي لم يضن (يبخل)، بل بذله لأجلنا فكيف لا يهب لنا معه كل شيء (رو ٨: ٣٢)[١]".

ثم يحذر القديس باسيليوس كل الذين أصابهم تهور الفقه:

"الذين يتخذون من محبة الله العظيمة وشفقته فرصةً للتجديف،

---

(١) سبق للأنبا بيشوي أن اعتمد على ترجمة فان ديك "الذي لم يشفق على ابنه"، ووصل منها إلى غضب الآب على الابن، وكان عليه أن يرجع إلى الأصل اليوناني، حتى وإن كان لا يعرف اليونانية، وإن استعصى عليه الأمر عليه أن يرجع إلى الترجمة الكاثوليكية التي نشرتها دار المشرق، أو حتى طبعة العيد المئوي التي أصدرتها دار الكتاب المقدس.

يصبح هؤلاء أشد نكراناً من اليهود، هؤلاء يقاومون الروح لأنه أعطانا الحرية أن ندعو الله أبانا "أرسل الله روح ابنه إلى قلوبنا صارخاً"أبَّا أيها الآب" (غلا ٤: ٤ – ٦)، وبسبب هذه العطية يصبح صوت الروح القدس نفسه هو صوت الذين نالوه" (ف ٢٤: ٥٧).

الروح القدس هو مكان التقديس "شرحٌ لحرف الجر (في)"

"حقاً إن الروح القدس هو مكان القديسين، وكل قديس هو حقاً مكان الروح القدس؛ لأنه يقدم ذاته ذبيحةً وهيكلاً لسكنى الله. ولذلك قيل أنتم هيكل الله" (ف ٢٦: ١٢).

فهل نقدم حياتنا وذبائحنا لقوة؟ أم أن رؤيتنا ومعرفتنا هي بالله نفسه، أي الثالوث كما سبق وقلنا؟ وهنا يجد الأنبا بيشوي حرف الجر "في" الذي سبب المشاكل الفقهية حسب علم أصول الفقه وعلم الكلام الإسلامي:

"واستعمال حرف الجر "في"، فكما أننا نقول إننا نرى الآب في الابن، فإننا نرى الابن في الروح، هذا نعرفه من السجود بالروح لأن الروح يعمل فينا ونستنير بالنور" (ف ٢٧: ٦٨).

وعندما يشرح القديس باسيليوس حرف الجر "في"، يقول:

"حرف الجر (في) يعلن لما ما يخصنا نحن البشر، بينما (مع) يؤكد شركة الروح القدس في جوهر الله. ولذلك يمكن استخدام الحرفين؛ لأن (مع) تؤكد كرامة الروح الإلهية، و(في) تعلن النعمة التي فينا" (ف ٢٧: ٦٨).

القديس الأنبا مقار اللابس الروح

هكذا قال الأنبا بيمن عن الأنبا مقار: "كل مرة تقابلت فيها مع أبًّا مقار، لم أنطق بكلمة واحدة إلَّا وقد عَرِفَ هذه الكلمة لأنه كان لابساً الروح، وامتلك روح النبوة مثل إيليا وباقي الأنبياء".

شركة الروح القدس

يكتب القديس بولس: "نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢ كور ١٣: ١٤). وإذا كان في إمكان الأنبا بيشوي فصل القوة أو الطاقة عن الروح القدس، أو عن أيٍّ من أقانيم الثالوث، فهل يمكن فصل المحبة عن الثالوث؟ هل يمكن أن تصدر إجابة بنعم من مسيحي أياً كان؟ طبعاً لا يمكن فصل الله عن محبته؛ لأن الإنجيلي يوحنا يقول: "أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله". وحرف الجر "من" هنا في هذا النص لا يمكن أن يفصل المحبة عن الله لأننا لسنا فقهاء في اللغة ولا تلاميذ للفلسفة اليونانية؛ لأن مأساة ٤٠ سنة من التعليم في كنيسة مصر تظهر في أنه أنكر أن اللاهوت هو استعلان أشخاص أو أقانيم الثالوث، وأن هذا الإعلان ليس رسالة لفظية أو كلامية تخضع للسفسطة اللغوية وخداع الألفاظ والكذب.

يقول الرسول يوحنا: "كل من يحب فقد وُلِدَ من الله، ويعرف الله"، ويردف ذلك بتحذير من الموت الأبدي، فيقول: "من لا يحب لم يعرف الله؛ لأن الله محبة" (١ يو ٤: ٧ – ٨).

وقد برهن الرسول عن عن استعلان محبة الله، هكذا: "بهذا أُظهِرت محبة الله فينا، أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به".

والباحث عن حرف الجر "في ἐν"، سوف يجده في كلمات الرسول: "محبة الله

أُظهِرت فينا ἐν ἡμιν". أمَّا "نحيا به"، فهي: "δι αὐτού". هذه المحبة قد أُظهِرت فينا؛ لأن روح الله قد سُكِبَ في قلوبنا (راجع رو ٥: ٥).

وبما أن المطران يعرف اللغة اليونانية، فليقل لنا إن كان حرف الجر "في" قد ورد في عبارة "في قلوبنا" (رو ٥: ٥)، أم أن المحبة، وهي الله نفسه ينسكب خارج كياننا؟

ويبقى سؤالٌ هام: ما هو المقصود بشركة الروح القدس؟

إن صيغة المضاف ليست فقط هي صيغة الملكية، بل هي التعبير القوي عن شركتنا نحن التي وُهِبَت لنا؛ لأن سياق الكلام واضح:

نعمة ربنا يسوع

محبة الله

شركة الروح القدس

مع جميعكم.

وهذه كما رأينا، ليست شركة من الخارج.

يردد القديس أمبروسيوس ذات عبارات القديس أثناسيوس، إذ يقول:

> "إذا كانت النعمة واحدة، والسلام واحد، والمحبة واحدة، والشركة واحدة من الآب والابن" والروح القدس، فحقاً وبكل يقين، العمل واحد *One operation* وإذا كان العملُ واحداً، فحقاً لا يمكن تقسيم القوة، ولا يمكن تقسيم الجوهر" (الروح القدس ١: ٣٠١٢).

ولنعد إلى الرسول بولس نفسه، فهو يتحدث عن الشركة في الروح (فيلبي ٢: ١). وعن الشركة يقول الرسول: "الله الذي **به** دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا"

(١كور ١: ٩)، وأيضاً: "شركة خدمة القديسين" (٢كور ٨: ٤). ويحق لنا أن نتساءل: هل كان تيطس "شريك" بولس وعامل معه (٢كور ٨: ٢٣)، بلا شركة **في** ذات الخدمة؟

الشركة الواحدة للعمل الواحد للثالوث

في شرح (٢كو ١٣: ١٤)، في العظة ٣٠ على رسالة كورنثوس الثانية للقديس يوحنا ذهبي الفم، يظهر لنا بوضوح ما سبق أن حذَّرنا منه القديس باسيليوس، وهو منهج الفصل والتقسيم، وهو هنا يرد على الذين كانوا يحاربون الروح القدس في أيامه، وهي ذات الحرب الدائرة الآن.

في الفقرة ٣ من العظة ٣٣ يسأل ذهبي الفم رداً على غباوة حكم النص:

> "أين الذين يقولون إن الروح لم يُذكَر في مقدمة الرسالة. فهل هو من ذات الجوهر؟ ألا ترى أنه لم يُحسب مع الآب والابن؟ وبالإضافة إلى هذا يمكن لمن يلاحظ أنه عندما كتب إلى كولوسي قائلاً: "نعمة لكم وسلام من الله الآب"، وصمت عن ذِكر الابن الذي لم يُضَف إلى ما ذكره بعكس ما ورد هنا في هذه الرسالة، حيث يقول: "ومن الرب يسوع المسيح"، فهل يعني هذا أن الابن ليس من ذات الجوهر؟ كلا. هذه البراهين هي غباوة فائقة".

أمَّا عن وحدانية الجوهر بسبب وحدانية عمل الثالوث، فهو يقول:

> "يكتب إلى الكورنثيين: "لكنكم قد اغتسلتم وتقدستم وتبررتم باسم ربنا يسوع المسيح (حرفياً: في اسم ربنا يسوع)، و**في** روح إلهنا"[١]، (١كور ٦: ١١)، فهل لم ينل أولئك المعمودية واعتمدوا باسم الآب؟ فإذا لم يكن

---

(١) ربما يعالج حرف الجر هنا صداع المطران.

ذلك باسم الآب، فهؤلاء لم يغتسلوا ولم يتقدسوا ... فلماذا لم يقل:"اغتسلتم باسم الآب"؟ لا يوجد فرق عنده أن يذكر أقنوماً ولا يذكر الآخر، وربما لاحظتم هذه العادة في الرسائل لأنه يكتب إلى الرومانيين ويقول: "أتوسل إليكم برحمة الله" (رو ١٢: ١)، رغم أن هذه الرحمة هي رحمة الابن، وأيضاً أتوسل إليكم بمحبة الروح (رو ١٥: ٣٠)، مع أن المحبة هي محبة الآب أيضاً".

ويقول بعد ذلك:

"إن أعمال الثالوث لا تنقسم، وحيث شركة الروح فهي في الابن، وحيث نعمة الابن فهي للآب والروح القدس".

فقدان عمل المسيح فينا؛ إذا لم يحل فينا الروح القدس

يقول القديس كيرلس عمود الدين:

"المسيح فينا بالروح القدس، محولاً ما هو طبيعي وقابل للفساد ناقلاً إياه من حالة الموت إلى الحياة. وأيضاً بولس يقول: "الذي أقام يسوع من بين الأموات سيحيي أجسادكم المائتة بالروح الساكن (أو الحال) فيكم"(حرف الجر ورد في النص رو ٨: ١١). وعلى الرغم من أن الروح ينبثق من الآب، إلَّا أنه يأتي إلينا بواسطة الابن ومن (الابن)؛ لأن كل الأشياء هي بواسطة الابن ومن الآب" (شرح يوحنا ٩: ١ – ٤٨: ٣٢١ – ٣٢٢).

ويتحدث عن سقوط آدم ويقول:

"إن معصية آدم أعادته إلى التراب، ولكن عندما أرسل الله روحه، جعلنا شركاء طبيعته، وبواسطته جدد وجه الأرض (مز ١٠٤: ٢٩ – ٣٠)، ونحن

نتغيَّر إلى حياةٍ جديدة ونطرح الفساد الذي جاء مع الخطية، ومرةً ثانية ننال الحياة الأبدية بواسطة نعمة ومحبة البشر لربنا يسوع المسيح" (المرجع السابق).

وفي فقرة نرجو أن تدخل إلى قلب الأنبا بيشوي، يقول القديس هيلايون أسقف بواتييه، في كتابه عن الثالوث ١: ١٣:

"لقد محا بالموت حكم الموت، حتى بالخلقة الجديدة التي فيه (المسيح) يبيد العقوبة التي أقامها الناموس القديم ضدنا. فقد جعلهم (الرومان) يسمروه في الصليب لكي يسمِّر اللعنة في الصليب، ويمحو كل اللعنات التي جلبها الموت".

والخلقة الجديدة يقول عنها القديس الأنبا مقار:

"هي مثل الرسام الذي يرسم وجه الملك، فهو يشاهد وجه الملك أولاً، وبعد ذلك يقف أمام الملك لكي يرسم الوجه الذي يراه ... كذلك يفعل المسيح –الفنان الصالح– في أولئك الذين يؤمنون به ويتطلعون إليه ويثبِّتون نظرهم فيه دائماً، فإنه حالاً يرسم إنساناً سماوياً على صورته، فمن روحه ومن جوهر النور نفسه، النور غير الموصوف يرسم صورةً سماويةً" (عظة ٣: ٤).

خطورة فقدان الشركة

يقول القديس إيرينيئوس:

"كيف يجيء إنسانٌ إلى الله إن لم يكن الله قد جاء إليه؟ وكيف يهرب من الولادة التي تخضع للموت إن لم يولد مرةً ثانيةً؟ وكيف ينالون التبني من الله إذا ظلوا مولودين ولادةً طبيعيةً بواسطة الوالدين في العالم؟" (ضد الهرطقات ٤: ٤٠٣٣).

ويقول القديس أثناسيوس إننا بدون الروح القدس لن نكون **في الله**:

"بسبب نعمة الروح القدس المعطاة لنا، نصير نحن فيه هو، وهو فينا ἐν ημίν وحيث أنه هو روح الله، فلأنه فينا، نُعتبَر بحق أننا قد **اقتنينا الروح**، إننا **في** الله، وكذلك الله فينا ... نحن بدون الروح غرباء وبعيدين عن الله، ولكن بشركة الروح نتحد بالإلوهة" (ضد الأريوسيين ٣: ٢٤).

"لأن الذين فيهم الروح القدس يؤلَّهون، ولأنه يؤلِّه البشر بالله، فلا شك أن طبيعته هي طبيعة الله" (الرسالة الأولى إلى سرابيون ٢٤: مجلد ٢٥: ٥٨٨).

بالروح نحن في الله

يقول القديس أثناسيوس في المقالة الثالثة في الرد على الأريوسيين، وهو يشرح بعض كلمات الرب في يو ١٧: ٢١، وبالذات "ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا":

"هو لا يعني أننا سنكون مساويين له ... ولكنها طلبة مقدمة للآب -كما كتب يوحنا- لكي يعطي الروح للمؤمنين بواسطته (يسوع) ذلك الروح الذي بواسطته نحن كائنون في الله (والكينونة هنا حسب النص اليوناني οντος ἐν τώ παρτί)" (ضد الأريوسيين ٣: ٢٥ مجلد ٢٦: ٣٧٦).

بالمسيح وبالروح ننال عدم الفساد

هل شرحُ كلمات عبارة "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١: ٣) على أنه شركة في الطبيعة الإلهية هو تحريف؟ إن كان شرحُ أي نصٍّ من الكتاب المقدس يعد تحريفاً، إذن فقد أصبح الاتهام موجهاً لكل الآباء. ويبدو أن الأمر صار هكذا عند فقهاء اللغة الذين صاروا أساتذة اللاهوت عند الأنبا شنودة الثالث بدلاً من آباء الكنيسة؛ لأنه هو الذي قال -في كتابه تأليه الإنسان- إن عبارة الشركة في الطبيعة الإلهية "هي جريمة الشرك التي

يحاربها الإسلام"، ومع ذلك يقول القديس كيرلس السكندري:

"إني أنا حيٌّ (يسوع) لأني الحياة حسب الطبيعة، وقد أظهرتُ هيكل جسدي حيًّاً، ولكن حينما ترون أنكم من ذوي طبيعة فاسدة، قد صرتم أحياء على مثال ما أنا حي؛ عندئذٍ تعرفون بكل وضوح أنه بسبب كوني أنا الحياة بالطبيعة، قد وصَّلتُكم من خلالي بالله الآب الذي هو نفسه الحياة بالطبيعة، وهذا جعلكم شركاء ومشتركين في صفة عدم الفساد الخاصة بي؛ لأنني أنا بطبيعتي في الآب، وقد جعلتكم شركاء الطبيعة الإلهية لما وضعتُ روحي فيكم. فالمسيح فينا بواسطة الروح القدس، وقد استرجع ما هو فاسد إلى عدم فساد، وغيَّره من الموت إلى عدم الموت؛ لأنه حينما أرسل الله روحه جعلنا شركاء طبيعته، وبه جدد وجه الأرض (مز ١٠٤: ٣٠)، فقد تغيرنا إلى الحياة الجديدة جداً ناقضين الفساد النابع من الخطية ومتقبلين نعمة الحياة الأبدية فيما بعد (القيامة من الأموات) بنعمة ربنا يسوع المسيح وبمحبته للبشر" (شرح يوحنا ١٤: ٢٠ مجلد ٢: ٤٨٧ – ٤٨٨).

بدون الروح القدس لا علاقة لنا بالمسيح ربًّاً ومخلِّصاً

يقول القديس بولس عن الحياة حسب أهواء الجسد: "الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضُوا الله" (رو ٨: ٨)، ولكن بالنسبة لنا نحن فلسنا في الجسد، بل كما يقول الرسول بولس: "**في** الروح إن كان روح الله ساكناً **فيكم**" (رو ٨: ٩). ولعلنا نكون قد لاحظنا هنا حرف الجر (**في**) الذي يضايق الأنبا بيشوي "**في** الروح"، أي "في روح الله"، وهو "ساكن **فينا**"، دون أية إشارة إلى طاقة أو قوة؛ لأن بولس الرسول هو تلميذ الرب وليس مهندساً. ولا يكتفي بولس بذلك، فالروح فينا، والروح الساكن فينا يعني أيضاً أن المسيح فينا، ولذلك يقول: "ولكن إن كان أحدٌ ليس له روح المسيح، فذلك ليس له (المسيح)" (رو ٨: ٩).. ووضعُ كلمة (المسيح) بين قوسين يؤكدها باقي النص: "إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية (لأنه صُلِبَ مع المسيح، ولأن الخطية

حُكِمَ عليها بالموت)". ويكمل الرسول شرح التعليم: "إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١). هل لاحظ القارئ أن اسم الفاعل "الساكن فيكم" ورد مرتين في (رو ٨: ١١)؟ فالروح الساكن لا يعطي طاقة، بل يعطي حياة المسيح، وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما بعد.

آدم والمسيح والفرق الجوهري فيما بينهما

المسيح روحاً محيياً: آدم الأخير (١ كور ١٥: ٤٥)

من آدم الأول أخذنا الموت والدينونة، هو "آدم الحي" الذي مات، لكن آدم الأخير "روحاً محيياً"، فقد وهب الروح بذاته، أي بأقنومه للتلاميذ في العلية بعد القيامة (يو ٢٠: ٢١). وفي نفس الرسالة الأولى إلى كورنثوس نجد أن الاعتراف بإلوهية الرب يسوع هو بالروح القدس، وهو ذات الروح، أي روح الآب الذي وُهِبَ لنا في الابن، وهو الذي يجعلنا نقول: "أبَّا أيها الآب" (رو ٨: ١٢، غلا ٤: ٦)، بل نذكر كلمات الرسول نفسه، وهي ليست كلمات الأب متى المسكين:

* "الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤).

ومن يحارب روح الله بهذا الشكل الخطير، ويحول الروح إلى طاقة تعمل بدون الروح، ويخلق بديلاً للروح القدس، يُظهِر معدن حياته، فهو منقاد بروحٍ آخر.

* "الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أبناء الله" (رو ٨: ١٦).

والشهادة هنا هي استعلان ما لنا في المسيح أن نكون أولاد أو أبناء الله لأننا وُلدنا من الله (يوحنا ١: ١٣)، مثل المسيح، نعم مثله، ولذلك نحن "إخوة الرب" (رو ٨: ٢٩)، فقد صرنا على صورة ابنه ليكون هو "بكراً بين إخوةٍ كثيرين" (رو ٨: ٢٩).

* "فإن كنا أولاداً فإننا ورثةٌ أيضاً، ورثة الله، ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٧).

فكيف نرث مع المسيح إن لم نتغير إلى تلك "الصورة ذاتها" (٢كور ٣: ١٨)، صورة المجد (فيلبي ٣: ٢١)، أي عدم الفساد والخلود والتبني؛ لأننا بدون هذا التحول في كياننا، لن ندخل ملكوت السموات، ولا وجود لنا في الملكوت كورثة الله ذاته ... ألا ترى قارئي العزيز -إذا كان لديك وعيٌّ وإحساسٌ حيٌّ بالمسيح- إلى أيةِ حفرةٍ سقط فيها التعليم الذي يلقيه بعض أساقفة الكنيسة القبطية من على المنابر أو بواسطة شبكة المعلومات الدولية، في الوقت الذي يصفون فيه تعليم الآباء بالتعليم الفاسد؟!!

آدم الثاني واهب الروح القدس

فقد استُعلِن ابن الله "بقوة"، وحسب ترجمة فانديك "من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات"، وهو ما أعلنه الرب نفسه عندما وهَبَ الروح للتلاميذ، بل هو ذاته الذي سكب الروح في يوم العنصرة:

"إذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم تبصرونه وتسمعونه" (أع ٢: ٣٢).

والذي يمنحنا الثبات في المسيح والبقاء فيه رغم كل ما نتعرض له هو الروح القدس، فالقوة لا يمكن أن تنفصل عن مصدرها -حسبما أشار القديس باسيليوس- ولذلك تنوع المواهب والخدم والأعمال، حسب شرح الرسول في ١كور ١٣ ليست قوات منفصلة ولا هي مواهب انفصلت عن "الواهب"؛ لأن الرسول يقول: "الله واحد يعمل الكل في الكل" (١كور ١٣: ٦). وتعدد المواهب الموزعة على أعضاء متعددة هو في النهاية "بروحٍ واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد" (١كور ١٣: ١٣). لأن الذي يجمعنا ويجعلنا واحداً في جسد المسيح الواحد هو الروح القدس، ذات الروح الذي كوَّن *formed* جسد يسوع في أحشاء البتول.

القديس أثناسيوس في الرسالة الأولى إلى سرابيون

"الآبُ نورٌ والابن هو شعاعه ... ويمكننا أن نرى في الابن "الروح" الذي بواسطته نستنير (أف ١: ١٧ – ١٨)، ولكن حينما نستنير بالروح، فالمسيح هو الذي ينير فيه (أي في الروح)؛ لأنه يقول: "كان هو النور الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" (يو ١: ٣) ... الآب ينبوع، والابن يُسمى نهرٌ؛ لذلك نقول إننا نشرب الروح؛ لأنه مكتوب: "جميعنا سُقينا روحاً واحداً" (١كور ٢: ١٣)، ولكن حينما نشرب الروح، فإننا نشرب المسيح "لأنهم كانوا يشربون من صخرةٍ روحيةٍ .. كانت المسيح" (١ كور ١٠: ٤)، وبالإضافة إلى ذلك، كما أن المسيح **ابنٌ حقيقيٌ**، فإننا عندما نأخذ الروح، نصير أبناء لأن الكتاب يقول: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني" (رو ٨: ١٥)، وإن كنا بالروح قد صرنا أبناء، فواضحٌ أننا في المسيح نُدعة أولاد الله لأن كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله" (يو ١: ١٢)" (مجلد ٢٦، الآباء اليونانيين، عامود ٥٧٣ – ٥٧٦).

ويتكلم القديس أثناسيوس عن سكنى وإقامة الله فينا، فيقول:

"لأنه عندما يعطي لنا المسيح الروح القدس، يقيم الله فينا؛ لأنه هكذا كتب يوحنا: إن أحب بعضنا بعضاً فالله يقيم فيه، بهذا نعرف أننا نقيم فيه وهو فينا لأنه قد أعطانا من روحه (١ يو ٤: ١٢ – ١٣). وحيث أن الله كائنٌ فينا، يكون الابن أيضاً فينا ... الابن هو الحياة؛ لأنه يقول أنا هو الحياة (يو ١٤: ٦)، فإننا سنحيا بالروح لأنه يقول: "الذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١)، وحيث أننا مُحيَونَ بالروح، فالمسيح نفسه يحيا فينا لأنه يقول: "مع المسيح صُلِبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢: ٢٠)" (المرجع السابق، راجع الترجمة العربية ص ٦٧).

المسيح واهب الروح القدس الذي يوحِّدنا معاً

يقول القديس كيرلس السكندري بمناسبة شرحه لكلام الرب مع السامرية:

"نحن متحدين كلٌّ مع الآخر، وصرنا أعضاء ذات الجسد الواحد في المسيح (أف ٣: ٦)؛ لأنه أقامنا وجمعنا معاً برباط الروح الواحد الذي هو فينا جميعاً، والذي (نشربه) ككأس واهب الحياة. بالإضافة إلى ذلك، فإن المسيح في حواره مع المرأة عند بئر يعقوب يقول: "كل من يشرب من هذا الماء (ماء البئ) يعطش، ولكن الذي يشرب من الماء الذي أنا أعطيه ... فهو يصبح فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياةٍ أبدية" (يو ٤: ١٢ – ١٣). وفي موضعٍ آخر قال لليهود: "من آمن بي –كما قال الكتاب– يجري من قلبه[١] أنهار ماء حي"، ويكمل الإنجيلي: "قال هذا عن الروح الذي كان الذين يؤمنون به سوف يأخذونه[٢]" (يو ٧: ٣٨ – ٣٩). وهذا غير مفاجئ لأنه حسب كلمات المزمور، المسيح هو "أنهار الله" (مز ٦٥: ٩) الملآنة ماء التي تفيض مثل فيضان الشتاء التي قال الله الآب إنه سوف يعطيها لم يحبه لكي يشرب من هذا الماء. ولماذا إذن روحه لا يوصَف بأنه كأس ماء واهب الحياة؟ لأننا نحن دُعينا إلى وحدة بواسطة الروح وصرنا أعضاء ذات الجسد، جسد المسيح، فلنحفظ رباط المحبة غير منفصل (مكسور)" (شرح إنجيل يوحنا، مجلد ١: ٢٩٠ – ٢٩١).

عندما يُغيَّب الروح القدس أو يُحذف، فإننا نكتفي بكلمات القديس باسيليوس، وهو يشرح سر المعمودية في الفصل ١٢ من كتاب الروح القدس، يقول:

---

(١) "قلبه"، كما في كل النصوص القديمة، وليس بطنه كما وردت في ترجمة فانديك.

(٢) الفعل "يأخذ" ترجمة صحيحة، وعلى الأنبا بيشوي أن يعارض في هذه الترجمة لكي نرد عليه من كل النصوص اليونانية.

"أحياناً ترى في الأسفار المقدسة الإشارة إلى الروح القدس وحده دون الآب والابن في الكلام عن المعمودية مثل: "لأننا بروح واحد اعتمدنا لجسد واحد" (١ كور ١٢: ١٣) والمعنى نفسه في: "أنتم سوف تتعمدون بالروح القدس" (أع ١: ٥)، أو: "هو سوف يعمدكم بالروح القدس" (لو ٣: ١٦)، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يقول إن المعمودية التي استُدعيَ فيها الروح القدس وحده هي معمودية كاملة. لأن التسليم الذي قبلناه بواسطة النعمة المحيية (أي التعميد باسم الآب والابن والروح القدس) يجب أن يظل كما هو بدون تعدٍّ" (الروح القدس ف ١٢: ٢٨).

فقدان الحياة الأبدية بدون الروح القدس

ويكمل القديس باسيليوس الشرح في نفس الفصل، فيقول:

"لأن الثالوث الذي فدى حياتنا من الهلاك، أعطانا قوة التجديد الكامنة في السر، والذي يعطي لنفوسنا الخلاص العظيم، ولذلك، فإن الإضافة أو الحذف تعني فقدان الحياة الأبدية ذاتها. وإذا كان فصل الروح القدس عن الآب والابن ضاراً بالمعمد، ويجعل الذي يعتمد لا ينال شيئاً، فكيف لا يصبح فصل الروح القدس عن الآب والابن ضاراً أيضاً؟! الإيمان والمعمودية هما طريقا الخلاص لا يمكن فصلهما؛ لأن الإيمان يكمل المعمودية، والمعمودية مؤسَّسة على الإيمان، وكلاهما مؤسَّسٌ على الأقانيم الثلاثة ... نحن نعتمد باسم الآب والابن والروح القدس، أولاً بالاعتراف بالإيمان الذي يقودنا إلى الخلاص، ويتبع الاعتراف، المعمودية التي هي الختم الذي يختم قلوبنا" (المرجع السابق).

الآلهة الغريبة التي اخترعها

لعل القارئ يكون أدرك –من مقال الأنبا بيشوي الذي يدافع فيه عن معلم الأجيال البابا شنودة الثالث– كيف أن القوة حلَّت محل الروح القدس، أو أن النعمة حلَّت محل الابن، فأصبحت القوة والنعمة هي الآلهة أو الإلهين الذين خلَّصا الإنسانية، وأعطيانا الغفرن – التجديد – التبني – البنوة – الانضمام إلى جسد المسيح الواحد الكنيسة – ميراث ملكوت السموات – القيامة من الأموات – الحياة الأبدية. هذه العطايا –في تحليل الأنبا بيشوي– ليست من الله نفسه، ولا يعملها الله نفسه، بل تعملها طاقة أو قوة أو نعمة؛ فيصبح الله نفسه لا علاقة له بأيٍّ من عطاياه حتى التبني ولا وراثة الله في الخلود وعدم الفساد.

وقد يدافع الأنبا بيشوي عن نفسه ويقول إنه لم يقصد، وإنما كان يعني أن الحلول أو السكنى هو حلول أو سكنى طاقة كما قال. ولكن هذا الرد لا يعفي الأنبا بيشوي من الوقوع في براثن الوثنية، أي الإيمان بآلهة أو إلهين وربما ثلاثة: القوة – الطاقة – النعمة، وهي تلك التي تمنح الشركة وتمنح عدم الفساد، وتؤلِّه الناسوت، تماماً كما تألَّه ناسوت الرب الذي نأخذه في الإفخارستيا. هكذا نكون قد وصلنا إلى حفرة الموت لأن الكراهية والبغضة تخلق لاهوتاً شيطانياً هو ذات التعليم السابق الذي علَّمت به كل الهرطقات، وهو إنكار شركتنا المباشرة والحقيقية في حياة الثالوث بواسطة الابن المتجسد في الروح القدس لكي نكون في الآب.

القسم الثاني

يسوع والروح القدس

الابن والروح القدس:

يبدأ الإنجيل ببشارة تجسد أو ميلاد الرب من البتول القديسة مريم التي حلَّ عليها روح "الله العلي – إل (إيل) عيلون – إله شعوب الأرض" (لوقا ١: ٣٥).

ثم يُستعلَن الروح القدس مع الابن أيضاً في معمودية يسوع.

البشارة المفرحة ليست في تجسد الابن وحده، بل بمجيء الروح القدس في بداية تكوين آدم الجديد أو الأخير في الحَبَل بيسوع؛ لأنه جاء لكي ينقل الأصل الإنساني أو بدايته من آدم إلى أقنومه الإلهي المتجسِّد (راجع القديس أثناسيوس، الرسالة إلى أدلفوس: ٤، وضد الأريوسيين ٣: ٣٣)، ثم يستعلن ابن الله في المعمودية في الأردن.

وحلول الروح في "شكل حمامة"، لم يكن معروفاً في العهد القديم ولكنها إشارة إلى الذي استُعلِن وما سوف يُستعلَن: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متى ٣: ١٧)، والابن الحبيب الذي سُرَّ به الله الآب ليس هو ذلك الابن الذي احترق في نار العدل الإلهي –بحسب تعليم الأنبا شنودة[١]– أو الذي يتلقى غضب الآب على

(١) راجع كتابه ٥ تأملات في أسبوع الآلام، عدة طبعات، القاهرة.

الصليب –حسب تعليم الأنبا بيشوي[١]– (فهذه خرافات وأضاليل عقول لا تعرف المحبة الإلهية). وصوت الآب السماوي هو تحقيق لنبوة اشعياء (٤٢: ١)[٢]، وهو ما يؤكِّده الرب نفسه بلسانه في مجمع كفر ناحوم (لوقا ٤: ١٧ – ٢١). ومسرة الآب تجعل الرب نفسه يقول عن ذاته: "الذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم" (يوحنا ١٠: ٣٦)، فهو قد جاء من عند الآب إلينا مقدَّساً (مخصَّصَاً)، وعندما اعتمد يسوع، يقول القديس ايريناوس:

> "حلَّ عليه روح الله، وهو نفس الروح الذي قَبِلَه الأنبياء، وهو يعطي له المسحة لكي نقبل نحن هذه المسحة الفائقة ونخلص" (ضد الهرطقات ٣: ٩-٣ SC ٢١١ ص ١١٣ – راجع أيضاً القديس أثناسيوس، ضد الأريوسيين ٢: ٦١، ٧٠– ٣: ٣٤– ١: ٥٠).

فقد امتلأ يسوع من الروح القدس. ويقول كيرلس السكندري عن هذا الامتلاء:

> "ملأ يسوع كل جسده بالروح الواهب الحياة والقوة .. لأنه ليس الجسد هو الذي يعطي الحياة للروح ولكن قوة الروح تعطي الحياة للجسد" (شرح انجيل يوحنا ٦: ٦٤ مجلد ٧٣: ٦٠٤ وأيضاً شرح العبرانيين ١: ١٣ في مجلد ٧٤: ٩٦١)[٣].

---

(١) راجع كتابه عن عقيدة الكفارة.

(٢) "هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ".

(٣) راجع مقالنا: لماذا اعتمد يسوع؟ منشور على موقع الدراسات القبطية.

البشارة التي قدَّمها بولس للأمم:

القارئ المدقق في قراءة كلمة الله سوف يرى أن يسوع الذي مُسِحَ بالروح القدس هو الذي "تعيَّن بقوة بواسطة أو من جهة روح القداسة (روح التقديس)" (رو ١: ٣ – ٤) الذي أقامه من الأموات، لكي يُخصَّص لإقامة الإنسانية المائتة، ولذلك –حسب التسليم الرسولي– كان قبول الروح القدس هو قبولٌ للقيامة، تلك التي تُوهَب هنا في هذا الدهر في المعمودية، وفي كمال استعلانها يوم القيامة. وحلول الروح القدس فينا هو الذي يؤهِّلنا للقيامة من الأموات لأنه "ساكن فينا" (رو ٨: ١١).

والوعد بخلاص الأمم الذي يذكره الرسول في غلاطية، هو أُطروحة ذات وقع خاص تحتاج إلى تدقيق في الترجمة، وإلى حسٍّ روحيٍّ في القراءة؛ لأنها المِفصَل الذي يُظهِر نعمة العهد الجديد. الفصل الثالث من غلاطية هو جزء ذو دلالة في هذه الأطروحة.

* قبول الروح القدس بالايمان (غل ٣: ٣).

* بركة الله لإبراهيم والوعد ليس من الشريعة أي شريعة موسى (لا زالت كلمات رسول المسيح تدوّي في آذان الذين يقبلون العهد الجديد)، وإنما كان الوعد سابقاً على الشريعة (غل ٣: ١٥–٢٨) لأن الشريعة جاءت بعد إبراهيم بـ ٤٣٠ سنة، وهي لم تنسخ عهداً "قد سبق وأسَّسه الله عن المسيح" (غل ٣: ١٧).

* فالروح الذي لم يُعطَ في الشريعة حسب الشريعة، وهو ما يؤكده الرسول بولس: "فالذي يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم ..."، هل يعمل هذا بحفظ أعمال الشريعة، أم بقبول بشارة أو خبر الإيمان؟ (راجع ٣: ٥).

* البركة هي عطية الروح القدس، تلك التي تُوهَب في المعمودية (٣: ٢٥–٢٩).

ماذا ورثنا حسب الموعد؟ والإجابة هي: "الروح القدس"؛ لأن الرسول يؤكد أن

البشارة ليست بالكلام، "بل بالقوة أيضاً وبالروح القدس" (أفسس ١: ٥-٦)، ولم تكن هذه عبارة حماسية وانفعالية، بل هي ما أكَّده: "كلامي وبشارتي لم يكونا بكلام الحكمة .. بل ببرهان الروح القدس والقوة ..." (١كو ٢: ٤-٥).

"أيها الغلاطيون الأغبياء" (غلا ٣: ١):

لماذا اعتبر الرسول هؤلاء "أغبياء"؟ والجواب يجيء في الأعدد من ١: ٥. الغباوة هي في رفض عطية أو منحة الروح القدس، ويكاد بولس يصرخ من الوجع: هل كانت أتعابه في الخدمة "عبثاً" (غل ٣: ٤)؟ فما هو الفرق الصارخ بين العهدين؟ الجواب هو: "الروح القدس"؛ لأنه في خدمة العهد الجديد نحن نخدم (نعبد) بروح الحياة لا بعبودية الحرف (رو ٧: ٦)، وما يوصَف "بجدة الروح" شرحها نفس الكاتب في (رو ٨: ٢)؛ لأن هذا هو اختيار الله من البدء حسب كلمات بولس نفسه: "أيها الأخوة المحبوبون من الرب إن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح، وتصديق الحق الأمر الذي دعاكم إليه بالبشارة (إنجيلنا) لاقتناء مجد يسوع المسيح" (٢تس ٢: ١٣).

تأمَّل:

- تقديس الروح للخلاص.

- اقتناء مجد يسوع المسيح.

وتقديس الروح القدس هو تقديس الثالوث كما يقول امبروسيوس في شرحه لنص (٢تس ٢: ١٣):

> "الآب يقدِّس، والابن يقدِّس، والروح القدس يقدِّس، ولكن التقديس واحد لأن النعمة والسر واحد" الروح القدس ٣: ٤ – ٢٧ - ٢٨).

ولذلك، فإن رفض تقديس الروح القدس، يظهَر في السلوك في النجاسة، ويحذِّرنا

رسول المسيح: "لأن الله لم يدعُنا للنجاسة بل في القداسة، وإذاً من يرذل لا يرذل إنساناً بل الله الذي أعطانا أيضاً روحه القدوس" (أفسس ٤: ٦-٧).

أمَّا عن اقتناء مجد يسوع المسيح، وهو صدى لكلمات الرب في (يوحنا ١٧: ٢٢) فسوف نعود إليه في القسم الثالث.

روح المسيح أو روح يسوع

لا يجب أن ينزعج القارئ؛ إذ لا يوجد تعليم في العهد الجديد برمته على انبثاق الروح القدس من الآب والابن، فهذا تعليم متأخِّر لم يعرفه الآباء الذين بالروح القدس اجتمعوا في القسطنطينية في ٣٨١م وأكملوا الفقرة الخاصة بالروح القدس، ولو كان هذا التعليم، أي انبثاق الروح القدس من الآب والابن معروفاً، لدوَّنه الآباء في قانون الايمان.

المسيح	الروح القدس
في المسيح لنا بر وفداء (٢كو ٥: ٢١)	بر وسلام وفرح في الروح القدس (رو ١٤: ١٧)
تبررنا في المسيح (غلا ٢: ١٧)	تبررنا باسم الرب يسوع المسيح وبروح الهنا (١كو ٦: ١١)
الذين هم في المسيح إذا كان المسيح فيكم (رو ٨: ١ – ١٠)	انتم لستم من الجسد بل في الروح إذا كان روح الله ساكناً فيكم *Dwells* (رو ٨: ٩)
افرحوا بالرب (حرفياً في الرب) (فيلبي ٣: ١)	فرحٌ بالروح القدس (رو ١٤: ١٧).

وسلام الله .. يحفظ قلوبكم وأفكاركم (عقولكم) في المسيح يسوع (فيلبي ٤: ٧)	بر وسلام وفرح في الروح القدس (رو ١٤: ١٧).
تقدستم في المسيح يسوع (١كو ١: ٢-٣)	مقدسين بالروح القدس (رو ١٥: ١٦ — ٢تس ٢: ١٣).
أتكلم في المسيح (٢كو ٢: ١٧)	أتكلم في الروح القدس أو بالروح القدس (١كو ١٢: ٢٣).

روح المسيح هو روح القوة، ولكن ما هي هذه القوة، ولمن هي؟

كان جدول المقارنة السابق من أجل تثبيت وحدانية عمل الثالوث، وأن كل ما هو للابن فهو للروح؛ لأن التعليم الرسولي الذي سلَّمه الرب إلينا هو أن الروح القدس يأخذ من الابن. فلماذا؟ والجواب هو حسب ترتيب التدبير: لأن الابن هو مؤسِّس الخِلقة الجديدة، فهو الذي جاء بالتجديد، ولذلك كل ما يفعله في تجديد الطبيعة الانسانية، يُنقل إلينا نحن بواسطة الروح القدس، إذ ينقل الروح القدس: الفداء — التبني — الغفران، أي التحرير وفك الرباطات — عدم الفساد — القيامة من الأموات — الحياة الأبدية، وأخيراً ميراث الملكوت. هذه كلها في المسيح يسوع.

حسب الأصل اليوناني وردت كلمة القوة δύναμις ١٣ مرة في متى – ١٠ مرات في مرقس – ١٥ مرة في لوقا، ولم ترد في إنجيل يوحنا، بل وردت ١٠ مرات في الأعمال – ٨ مرات في رومية – ١٥ مرة في ١كور – ١٠ مرات في ٢كور – مرة واحدة في غلاطية – ٥ مرات في أفسس – مرة واحدة في فيلبي – مرتين في كولوسي ... كما وردت في باقي الرسائل الأخرى ليصل المجموع إلى ١٢٠ مرة.

ما هي قصة القوة؟

الأصل اللغوي *Stem* هو δυμα ومعناه القدرة على عمل شيء. والقوي اسم الفعل δυνατός ورد في الترجمة السبعينية LXX والكلمة العبرانية لا تختلف أصلاً عن القدرة أو القدير (٢ أخبار ٢٣: ٢٠). ومن الترجمة السبعينية وصلت الكلمة إلى يهود الشتات. لكن الكلمة كانت معروفة بشكل عام في كتابات فلاسفة اليونان وفي الميثولوجيا اليونانية القديمة السابقة على استعلان ربنا يسوع المسيح.

في العالم الهللينى Hellenistic

كانت دراسة أستاذ الأدب الكلاسيكي في جامعة تيوبنجن *W. F. Otto* "آلهة اليونان" التي صدرت عام ١٩٢٩ هي أول نقلة للتمييز بين الثقافة والأدب العبراني، والثقافة الأدب الهلليني، وبالذات في موضوع الله – الكون في الفكر والثقافة اليونانية القديمة الكلاسيكية السابقة على ظهور المسيحية. يقول *Otto* "الخط الفاصل هو قدرات الآلهة اليونانية التي تملك قدرات هي ذات القدرات الموجودة في الطبيعة، أو بدقة أكثر في الكون. فلم يفصل حتى الفلاسفة مثل أفلاطون بين الله والكون، كلاهما في نظام كوني مغلق تحكمه القوانين والكونية[١] فالقوة أو القدرة هي جزء من النظام الكوني الذي يخضع له الله. فالله **قوة طبيعية**، أمَّا إذا درسنا الكتاب المقدس والعهد القديم كبداية، فالله إلهٌ شخصي *Personal* يتكلم ويتحرك مع البطاركة ويسمع ويقدم المواعيد ويقود .. الخ هو ليس من النظام الطبيعي لأنه خالق الكون. ولا يميِّز أساتذة الحضارات القديمة بين الحضارات المصرية – البابلية – الأشورية – اليونانية .. هذه كلها تجد قوة إلهية في الكون، أمَّا في العهد القديم، وعلى سبيل المثال، فالقوة هي يد الله، يمينك يا رب ممجدة بالقوة (معتزة بالقدرة حسب ترجمة فان ديك)" (خروج ١٥: ٦).

---

(١) راجع الفصل الأول من "الوجود شركة" للمطران يوحنا زيزولاس، ترجمة د. جورج حبيب بباوي، مركز دراسات الآباء، القاهرة، عدة طبعات.

واستخدام اليد هو تأكيد الحضور الشخصي، فهي ليست قوة أو قدرة عمياء، بل قوة شخصية ضربت آلهة أخرى. "ترشد برحمتك (رأفتك) الشعب الذي فديته. تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك" (خر ١٥: ١٣)؛ لأن الشعب خرج من مصر "بقوة عظيمة ويد شديدة" (خروج ٣٢: ١١) هي القوة الشخصية. ولاحظ بعد ذلك كيف سوف يعبر موسى بطريقة أخرى يقول فيها للرب: "لا تهلك شعبك الذي فديته بعظمتك والذي أخرجته من أرض مصر بيد قوية (أو شديدة)" (تث ٩: ٢٦).

ولذلك يُوصَف الله بالقدير أو القوي؛ لأن القدرة أو القوة شخصية "عندما ثبَّت القدير ملوكاً" (مزمور ٩٨: ١٤)، هذا المزمور بالذات يقال في تسبحة نص الليل في شهر كيهك؛ لأن الرب جاء وسكن إلى الأبد في صهيون، لكي يبقى متجسداً إلى الأبد. هذا أحد أسباب تمجيد والدة الإله القديسة مريم. "يد الله القادرة أو الشديدة لا تنفصل عنه" (تث ٣: ٢٣ – ٢٤)؛ لأن الصلاة إلى إله السماء الذي هو على الأرض أيضاً "يعمل أعمالاً بجبروت" (تث ٣: ٢٤) فالقوة استُعلِنت بالحضور الإلهي نفسه بالله وبالقوة (يشوع ٥: ٣)، ولذلك يرتل المزمور: "أبصرتك المياه فخافت يا الله أبصرتك المياه ففزعت. ارتعدت اللجج" (مز ٧٧: ١٦)، والمجد الإلهي المستعلَن سوف نراه بعد ذلك على جبل طابور: "ليعرفوا بني آدم قدرتك ومجد جلال ملكك" (مزمور ١٤٥: ١١). وعندما عاد إسرائيل إلى الوثنية مع باقي الشعوب، يصرخ أرميا: "يارب قوتي (عزِّي) وحصني وملجأي في يوم الضيق إليك تأتي الأمم من أطراف الأرض ويقولون إنما ورث أباؤنا كذباً وأباطيل ولا منفعة فيه. هل يصنع الانسان لنفسه آلهة ليست آلهة، لذلك هانذا أعرفهم هذه المرة أعرفهم يدي وقوتي (جبروتي) فيعرفون إنني أنا يهوه" (أر ١٦: ١٩ – ٢١) والله القدير، أو إله القوة، أو حسب الترجمة العربية "ضابط الكل" هو حسب السبعينية κύριος παντοκράτωρ وقد احتفظت لغتنا القبطية في كل الأواشي بذات الاسم القديم "الإله القدير"، وذكصولوجية الملك داود هي أصل ذكصولوجية أسبوع الآلام، مع تغيير في ترتيب الكلمات: "لك يا رب العظمة والقوة (الجبروت) والجلال والبهاء والمجد" (١ أخبار ٢٩: ١٠) ولاحظ:

لك القوة والمجد والبركة والعظمة ... عمانوئيل إلهنا ومخلصنا

وعلى نفس النغمة النبوية يقول داود: "أنا أغني بقوتك وأرنم بالغداة برحمتك" (مزمور ٥٩: ١٦). وأيضاً: "يا رب من مثلك يا رب إله الجنود قوي" (مزمور ٨٥: ٨). والفرح بقوة الله يقول عنه النبي صفنيا: "الرب إلهك في وسطك جبار يخلص. يبتهج بك فرحاً يسكت في محبته يبتهج بك بترنم" (٣: ١٧)، هو حديث الله لأورشليم الذي يفرح بالمدينة في يوم خلاصها.

بشارة الخلاص بالقوة:

الصلاة الوحيدة التي علَّمنا إياها الرب يسوع، لها خاتمة، هي الذكصولوجية: "لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين" (متى ٦: ١٢) وهي جزء لا يمكن فصله عن تسبحة البصخة. وعدم ذكر كلمة "الملك"؛ لأن الرب لم يكن قد أكمل ملكه بالقيامة – هكذا قال أستاذنا يسى عبد المسيح.

وعن قوة الله في إقامة الموتى، يقول الرب موبخاً الصدوقيين: "لا تعرفوا الكتب ولا قوة الله" (متى ٢٢: ٢٩)، وهي ذات القوة الشخصية؛ لأنه في الظهور الثاني المملوء مجداً –حسب عبارة الليتورجية– سيأتي "بقوة ومجد كثير" (متى ٢٤: ٢٩–٣٠)، بل إن اسم الله هو (القوة) حسب اعتراف الرب يسوع المسيح نفسه في المحاكمة: "تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة (عن يمين الله)" (متى ٢٦: ٦٤)؛ لأنه لم ينطق باسم يهوه حسب العادة السارية عند اليهود بعدم نطق الاسم، ولا حتى استخدم اسم "أدوناي"، بل "القوة"؛ لأنه أعلن هذه القوة، لأنه "وبَّخ المدن التي صنعت فيها أكثر قواته" (متى ١١: ٢٠–٢١)، وحتى اليهود "بُهتوا وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات" (متى ١٣: ٥٤) ولذلك وُصِفت معجزات الرب يسوع بهذا الاسم الشخصي "ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم" (متى ١٣: ٥٨ راجع مرقس ٦: ٥ "لم يصنع قوة واحدة".

ملكوت الله قد أتى بقوة (مرقس ٩: ١)

الكلمات هي بداية الإصحاح التاسع في إنجيل مار مرقس، وهي عن تجلي الرب على جبل طابور – ذلك العيد الذي يأتي أثناء صوم العذراء، ويضيع الجانب اللاهوتي، بينما الاحتفال بالعيد أثناء الصوم يعيد للصوم مكانته اللاهوتية. فقد تجلى جسد يسوع بقوة – نعرف بعد ذلك من شرح الآباء أن السحابة والنور هما حلول المجد الإلهي "الشاكيناه" معلناً التجلي حياة الدهر الآتي لنا في القيامة.

وقوة الله هي قوة الروح القدس، أو روح الرب الذي حلَّ على إيليا، ولذلك قيل عن يوحنا المعمدان: "ويتقدم أمامه بروح إيليا؛ لأنه امتلأ من بطن أمه بالروح القدس (لوقا ١: ١٥ – ١٩). أليس الروح القدس هو نفسه قوة الله: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك .. لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥)، وعندما امتلأ يسوع من الروح القدس وحارب العدو في البرية (لوقا ٤: ١)، رجع يسوع "بقوة الروح إلى الجليل" (لوقا ٤: ١ – ٤: ١٤). هذه القوة هي التي كانت تطرد الشياطين "لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة" (٤: ٣٦)، وكانت "قوة الرب لشفاهم" (لوقا ٥: ١٧)، بل هذه القوة أُعطيت للتلاميذ (لوقا ٩: ١)، وهي هبة الرب لنا لأنها عطية الروح القدس (لوقا ١٠: ١٩). ويؤكد نفس الإنجيل أن قوة الرب هي قوة الروح في وعد الرب "اقيموا في مدينة اورشليم إلى أن تُلبَسوا قوة من الأعالي" (لوقا ٢٤: ٤٩)، هي ذات قوة العلي (لوقا ١: ٣٥). وكما ذكر متى ومرقس أن معجزات الرب هي قوات الرب، كذلك لوقا أيضاً (١٠: ٣).

كيف يمكن لمن له عينين أن يغفَل عن قراءة دقيقة هامة لكلمات الرب يسوع: "ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨)، فالقوة لن تأتِ ولن توجد إلَّا "متى حلَّ الروح القدس"، ولذلك ينكر بطرس ويوحنا أنه بقوتهما أقاما المقعد عند باب الهيكل (أع ٣: ١٢)، وكان الامتلاء بالروح القدس تماماً مثل امتلاء يسوع، ولا داع للخرافات "لأننا نحن نأخذ من ملئه (يوحنا ١: ١٦) نعمة فوق نعمة"، فهو آدم الأخير،

واهب الروح القدس. وهكذا، لاحظ "امتلأ الجميع من الروح القدس (أع ٥: ٣١)، وبعدها "وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة" (٥: ٣٣). والامتلاء العائد أصلاً ليسوع يقول عنه بطرس الرسول: "يسوع الناصري كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة أع ١٠: ٣٨).

القدرة الأزلية أو السرمدية هي القوة الإلهية الخالقة للعالم حسب (رو ١: ٢٠) ولا فرق بين قوة يسوع وقوة الروح القدس: "ليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس" (رو ١٥: ١٣)، والمعجزات هي قوة الله (بقوة روح الله ١٥: ١٩).

القوة المستعلنة في يسوع وبالروح القدس:

عندما مُسح يسوع بالروح القدس قال إنه يُخرِج الشياطين بأُصبُع الله، وهو عملٌ من أعمال الله (لوقا ١١: ٢٠)، وعاد وأكَّد أن طرد الشياطين، أنما هو بالروح القدس. فالروح يُعلِن يسوع (١كو ١٣: ١-٣)، والروح هو الذي يُعلِّمنا عن يسوع لأنه يشهد ليسوع (يوحنا ١٥: ٢٦) بل "يأخذ مما لي ويخبركم"، وهذا يُمجد الابن "ذاك (الروح) يمجدني" (يوحنا ١٦: ١٤).

استعلان الروح القدس في العنصرة:

كان صعود الرب بالجسد هو أحد معالم التدبير، ولكنه وهو يصعد إلى السماء قال بعد قيامته: "ها أنا معكم حتى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ١٩). يقول ذهبي الفم:

> "بدون الروح لا يمكن أن ندعو الله أبانا عندما نصلي" (عظة ٢ على العنصرة مجلد ٥٠: ٤٥٨).

وعامود الدين يقول أيضاً:

"لأن الابن يحل فينا بروحه؛ نقول إننا دُعينا إلى التبني الإلهي" (حوار ٣ عن الثالوث مجلد ٧٥: ٨٥٣).

وفي نفس المرجع يقول عامود الدين:

"ارسل المسيح المعزِّي من السماء الذي بواسطته وفيه (المسيحُ) معنا، ويسكن فينا" (حوار ٧: مجلد ٧٥: ١٠٩٣).

ولم تـأتِ قـوةٌ يـوم العنصـرة، بـل جـاء الـروح، ومـنح القـوة حسـب قـول الـرب: "ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨). وفي تعبير فريد يقول رسول المسيح عن اجتماع الكنيسة: "باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح" (١كو ٥: ٤)، أي قوة يسوع أي الروح القدس.

يقول أسد كبادوكية عن مزمور "الله قائم في مجمع الآلهة" (مزمور ٨٢: ١):

"إنه يطهرنا ويجعلنا مثل الله وعندما نصبح مثل الله – وأنا هنا استعمل كلمات جريئة – يمكن أن يتحدث معنا كآلهة" (مقالة ٣٨: ٧).

الروح دائماً مع يسوع:

"انظروا هذه الحقائق: المسيحُ وُلِدَ، الروحُ سابقٌ على ولادته (بالحلول على مريم) المسيح اعتمد، الروح يشهد له، المسيح يجرَّب، الروح يقوده (لوقا ١: ٣٥) المسيح يعمل المعجزات والروح يشترك معه. هو يصعد والروح يأخذ مكانه .. هو يُدعى روح الله، روح المسيح، فكر المسيح، روح الرب، وهو نفسه، أي الروح، هو الرب وروح التبني، روح الحق، والحرية وروح الحكمة والفهم والمشورة، روح القوة، روح المعرفة، روح التقوى، روح مخافة الله؛ لأنه هو خالق كل هذه، ويملأ الكل بجوهره *his essence*.ويحتوي كل الأشياء، ويملأ الكون بجوهره، ولا يمكن فهم قوته .. هو صالح، مستقيم، ملوكي

بالطبيعة، وليس حسب التبني، يقدِّس ولا يتقدَّس، يقيس كل الأشياء (يحتوي) ولا يُقاس، يُشتَرَك فيه وهو لا يشتَرِك، يملأ ولا يمتلئ .. مع الآب والابن" (مقالة ٣١: ٢٩-٣٠ مختصرة).

وبعد، هل حلَّت طاقة أو قوة، أم حلَّ روح الرب؟ هل عدنا إلى الوثنية وآلهة اليونان القديمة التي تأخذ قوة من الكون، والتي تجد في الكون قوتها، أم أن الله، الإله الشخصي يعطي قوته الفاعلة بمسرة -حسب تعبير صلاة استدعاء الروح القدس في القداس الكيرلسي- لكي يعطي، ليس طاقة، بل جسد ودم ربنا يسوع له المجد؟

إن عمل الروح القدس في السرائر ليس طاقةً، بل تقديم يسوع نفسه إلينا في سر الانضمام إلى الكنيسة.

القسم الثالث

الجوهر – الأقنوم – القوة والطاقة

فصل من فصول اللاهوت البيزنطي الأرثوذكسي

ملفٌ لن يُغلق:

لعل الذين يحاربون شركتنا في الله، ويجرِّمون الاتحاد بالثالوث، وحلول الرب يسوع فينا بالروح القدس، يتراجعون؛ لأن حساب الأمور والمسائل العقائدية لا يمكن أن يغلقه أحد، بل إن مرور الزمان يعدُّ إضافةً للمشكلة؛ إذ يصبح الزمان نفسه جزءاً من السؤال؛ لأن تعاقُب الشهور والسنوات ليس إجابةً، بل هو ذاته علامة استفهام كبرى يقف عندها كل إنسان مهما كانت المدرسة والتشيُّع الذي ينتمي إليه.

في الوقت الحاضر ليس لدينا مدارس فكرية؛ لأن المدرسة تعني: منهج – كتب دراسية – أساتذة. صحيحٌ أن لدينا جيلٌ من المتخصصين يواجه بعض أساقفة الجهل والشموخ بالسلطان، وهؤلاء، أي الذين درسوا في معاهد لاهوت عالمية أرثوذكسية أو غيرها، يعرفون تراث الأرثوذكسية جيداً، ولكنهم لم يؤسِّسوا مدرسةً بعد؛ إذ لا زالت الكتب الدراسية والمنهج غائب، رغم وجود الأساتذة؛ لأن هؤلاء الأساتذة وُضِعوا قسراً تحت حزام الفقر لكي تسكت الألسنة، ويكتفي هؤلاء بالترجمة، وهو عملٌ شاق ونبيل

ومطلوب، دون الدخول في مهاترات مع الجهل.

هرطقة أنوميوس:

خرج علينا الأنبا بيشوي –في مقاله الذي أشرنا إليه قبلاً– بالتمييز بين الجوهر – الأقنوم – الطاقة – القوة، وهو ينكر حلول الثالوث فينا، كأن قول الرب نفسه: "إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً" (يوحنا ١٤: ٢٣)، هو نوعٌ من المزاح، وليس عدالة الحق المتجسد.

لا يجب أن يقود التراجع عن إنكار حلول الثالوث فينا إلى الوقوع في هرطقة أخرى، وهي هرطقة أنوميوس الذي فصل بين الأقانيم والجوهر والقوة، واعتبر أن الأقنوم الإلهي الوحيد هو الآب، بينما الابن والروح هما قوة الآب، وليس لهما كيان في جوهر الله، فخلق لنفسه ثالوثاً مكوَّناً من آبٍ خالق، وابن وروح قدس هما قوة أو قوتين فقط للآب.

وعندما يتحول الأقنوم إلى طاقة أو قوة، يصير الحلول فينا حلولاً غير إلهي، تماماً –كما يريد مطران دمياط– لأن حلول الثالوث فينا يُرعب عشاق السلطة، فهو حاجزٌ ضد كل أنواع التطرف في ممارسة نعمة الكهنوت التي تحوَّلت إلى سلطان، بينما صلاة التحليل الكبرى تقول: "أنعمت على الذين يعملون في الكهنوت"، فهم يعملون مع الثالوث؛ لأن الثالوث هو العامل فيهم: "ليكن عبيدك آبائي وأخوتي محاللين من فمي بروحك القدوس". وعندما لا يحرر أو يحل الروح القدس هؤلاء الخطاة من فم خادم الأسرار سواء كان قساً أو أسقفاً، بل تحرره قوة أو طاقة، فقد غاب –إذن– الروح القدس نفسه، أي أقنومه حتى من صلاة التحليل، وأصبح الاستعلان في (يوحنا ٢٠: ٢١–٢٢) "ونفخ ... وقال اقبلوا الروح القدس" هو مسرحية هزلية ليس لها علاقة بالله.

غريغوريوس بالاماس:

عندما نسير في نفق الجهل بتراث كنيسة عريقة، يدفعنا الجهل إلى الشتائم والهجوم على اللاهوت البيزنطي، رغم عدم وجود مَن تخصص في تاريخ اللاهوت البيزنطي إلَّا ثلاثة –لا داع لذكر الأسماء– ولا يوجد لدينا كتاب عربي واحد عن بالاماس إلَّا الثلاثية التي صدرت من دير الحرف في الرد الدفاعي عن الهدوئيين، ولم ينل بالاماس أي اهتمام منا سوى بعض ما يصفه غير الدارسين بأنه هرطوقي، رغم أن كنيسته تعيِّد له في الأحد الثاني من الصوم الكبير، وترتل وتقول إنه "منارة الأرثوذكسية، معلم الكنيسة، زينة الرهبنة، بطل اللاهوتيين الذي لا يقهر" (مديح تسالونيكي، التريودي، الأحد الثاني من الصوم الكبير).

ولد بالاماس في عام ١٢٩٦ ودرس الفلسفة والآداب القديمة، وبالذات أرسطو، ثم ذهب إلى جبل آثوس حيث تتلمذ على شيخ هو الأب نيكافورس، وله كتاب ضخم يجب ترجمته: "تطهُّر القلب وحفظه".

رُسم قساً أثناء وجوده في تسالونيكي في ١٣٢٥، وبسبب غارات العثمانيين الأتراك عاد إلى جبل أثوس، وصار رئيس دير حيث عاد إلى ممارسة حياة الهدوء والتأمل *Hesychastic Life* وأثناء وجوده في أثوس دعاه رهبان الجبل إلى العودة إلى تسالونيكي لمقاومة الفكر الفلسفي الذي كان ينشره برلعام *Barlaam* ومرَّ بالأسر في يد الأتراك وداوم على الكتابة بعد أن فُدي من الأسر[1].

يعود الفضل الأول لإعادة اكتشاف بالاماس للمؤرخ الأرثوذكسي الأب مايندروف الذي نشر أول دراسة بالفرنسية عن لاهوت وتاريخ بالاماس، ونُشرت مختصرة في طبعة إنجليزية عام ١٩٦٤ ثم دراسة أخرى بعنوان القديس غريغوريوس بالاماس

([1]) George Papademetriou, Introduction of St. Gregory Palamas.

والروحانية الأرثوذكسية – معهد فلاديمير ١٩٧٤.

لكن الفضل الأكبر هو لأستاذ الآبائيات *Chrestou* الذي نشر المجموعة الكاملة في خمس مجلدات، نُشرت تباعاً ١٩٦٢-١٩٦٦-١٩٧٢-١٩٨٨-١٩٩٢ فجعل مراجعة ما يُكتب ويُنشر سهلاً ميسوراً، بل صدر في سلسلة الروحانيات الغربية الكلاسيكية مختارات من دفاع بالاماس عن حياة الهدوء والتأمل (١٩٨٣) ترجمة *N. Gendle* تم نشر دير مار جرجس الحرف – منشورات التراث الآبائي في ثلاث مجلدات ١٩٩٥-١٩٩٦ بعنوان – الدفاع عن القديسين الهدوئيين – الثلاثية الأولى – الثانية – الثالثة).

النقد الكاثوليكي والهجوم على بالاماس:

الفكرة العامة السائدة في اللاهوت الغربي عند الكاثوليك والانجيليين هو أن النعمة الإلهية هي نعمة مخلوقة، هي عطية يخلقها الله فعلاً، بينما تمسَّك الشرق الأرثوذكسي دون أدنى تردد بأن النعمة الإلهية غير مخلوقة *Uncreated* لأنها عملٌ إلهي خاصٌ من الله الثالوث؛ لأن أهم جوانب إلوهية النعمة هي:

* التبني ومعرفة الله بالنور الالهي غير المخلوق.

* الحياة الأبدية والقيامة من الأموات.

* ميراث الملكوت الأبدي وحياة الدهر الآتي.

هذه الجوانب لا تُحسب ضمن الخليقة ولا علاقة بين هذه العطايا وما خُلِقَ من العدم؛ لأن التبني ليس –كما يدَّعي الأنبا شنودة الثالث– علاقة شرفيَّة، بل هو علاقة كيانية يتحرر فيها الكيان الإنساني من العبودية للطبيعة الساقطة لكي يكون له ذات حياة المسيح الإله المتجسد، الذي تألَّهت إنسانيته بالخلود ومجد اللاهوت بسبب الاتحاد

الأقنومي، وهو ما يُعطى من الآب بالابن في الروح القدس، إذ تتجلى الطبيعة الإنسانية بذات المجد الذي استُعلِن على جبل طابور أمام التلاميذ. لأن تحوُّلنا إلى جسد مجد الابن الوحيد (فيلبي ٣: ٢١) هو غاية الحياة الأبدية، وهو سبب قيامتنا من الأموات، وتأهيل كل مؤمن بالمسيح للحياة في الدهر الآتي.

لا أريد أن أُثقل على القارئ القبطي الذي حُرم من دراسة التاريخ الكنسي واللاهوت والكتاب المقدس، وتسلَّمته أفواهُ قياداتٍ جاهلة لا تعرف إلَّا الزعامة السياسية والملابس المزركشة، وكأن هذه هي مصادر التسليم الكنسي والحياة الأرثوذكسية. ولذلك يحمل الأخوة الذين درسوا في اليونان –بشكلٍ خاص– مسئولية ثقيلة جداً، وهي نقل أهم الكتب اللاهوتية الحديثة مثل كتاب *John Demetrakopoulos* عن الفرق بين أوغسطينوس وبالاماس، صدر باليونانية عام ١٩٩٧ وغيرها من دراسات علماء التاريخ واللاهوت في كنيسة حافظت على تاريخها؛ لأنها حفظت لغتها الأصلية، ولذلك لم ينقطع التواصل مع التراث الأرثوذكسي.

أعود فأقول إن العلامة الفاصلة في اللاهوت الأرثوذكسي هي:

*** النعمة غير المخلوقة.**

وقد كان فرحي الذي لا يُعبِّر عنه اللفظ، بما ورد في كتب كنيستنا القبطية أم الشهداء: "إذ أن اليد الإلهية تقدس المجامر" (ترتيب قسمة الكهنوت – مطرانية بني سويف ص ١٥٤) وحلول الروح القدس على الأواني المقدسة (ص ١٥٦)، فالرب يضع يده الإلهية، ولاحظ قوة الصلاة:

> "أيها السيد الرب يسوع المسيح الحقيقي الذي بغير عيب الإله والإنسان معاً،
> **Ⲫϯ ⲟⲩⲟ̄ ⲫⲣⲱⲙⲓ ⲫⲛⲉⲧⲉ ⲟⲩⲁⲧⲭⲱⲥ ⲧⲉ ⲉⲧⲉⲭⲙⲉⲧⲣⲱⲙⲓ**
> الذي لاهوته غير مفترق عن ناسوته، الذي أهرق دمه بإرادته وحده عن خليقته، ضَع يدك الإلهية الآن على هذه الكأس".

وعن الملعقة يقول:

"امنحها قوة ومجد الملقط الذي كان في يمين السارافيم".

كما يلاحظ القارئ أن كل أقداس المذبح تُرشم بالميرون.

وصلوات تكريس الكنيسة الجديدة التي تبدأ من سفر التكوين، وتصل إلى سفر الرؤيا في تجليات وظهورات الله إلى المدينة التي فيها شجرة الحياة ونور الرب يُستعلَن بقوة إلى أن تصل القراءات إلى:

"أضيئي ونوِّري يا بيعة الله؛

لأن نورك قد حضر، ومجد الرب أشرق عليك.

هذا هو البيت الذي بني على السماويات

هذا البيت الذي بناه الروح القدس".

(الطبعة الدولية للمستشرق *George Herner* طبعة ١٩٠٢ ص ٣٢٠-٣٢١).

ثم ظهور الرب في التجلي على جبل طابور في قراءة الإنجيل؛ لأن الكنيسة هي مكان تجلي رب القوات (التجلي يُقرأ من متى ومرقس ولوقا)، ولكن أهم ما يقال شرحاً لإنجيل يوحنا الذي يُقرأ في نفس الخدمة:

"أنت العاضد والطبيب والمنجِّي والسور القوي ورجاء الذين التجئوا إليه" (ص ٣٥٠).

ولا تقف الصلاة عند ذلك، بل تقول عن الرب يسوع نفسه:

"أنت النعمة والارتقاء،

والرجاء والحياة والقيامة" (المرجع السابق، ص ٣٥١).

وذلك مثلما نصلي في أوشية الانجيل. لكن الجدير بالملاحظة هو ما تصف به الصلاة الرب يسوع:

"أنت هو النعمة"،

ولذلك يصبح الإدعاء بأن النعمة مخلوقة = الأريوسية.

وكل صلوات استدعاء الروح القدس ليست استدعاءً لمخلوق؛ لأن هذه هرطقة صريحة لا جدل عليها. وفي صلاة استدعاء الروح القدس على المبنى، وعلى المؤمنين معاً، تقول الصلاة: "وليمتلئوا بروح قدسك" (ص ٣٦٦). ثم: "ولتكمل مواعيد روح قدسك ليحل هاهنا ويتعهد ويفعل ويطرد ويعتني بكل كلام وبكل شيء" (ص ٣٦٨)، ثم تلي ذلك صلاة استدعاء مع صراخ الشعب يا رب ارحم (ص ٣٧٤)، بل لاحظ:

> "اقبل إليك طلباتنا على هذا البيت المقدس .. ارسل عليه شعاعات نورك. قدِّسه واملأه من روح قدسك .. وفعل قوتك غير المرئية. املأه من مجد لاهوتك" (ص ٣٧٦).

ليت الذي يتصدى للعقيدة وشرحها، يقرأ كتب خدمة أم الشهداء لكي يتعلم كيف يتقن وكيف يختار كلماته بعناية لأن الصلاة السابقة لا تفصل:

- الروح القدس

عن

- شعاعات النور

– فعل القوة غير المرئية.

و"القوة" هي الكلمة اليونانية القبطية كما وردت في الصلاة ⲧⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ

لكن بعد ذلك:

"أملأه من مجد لاهوتك ...".

وهنا نقول إن الهروب من الباب الخلفي على حساب تدمير العقيدة هو هروبٌ لا ينفع مطران دمياط؛ لأن فصل القوة عن الإلوهة هو عودة إلى هرطقة أنوميوس.

وكما انفصلنا لغوياً عن تراثنا الأرثوذكسي بسبب الجهل بلغة الكنيسة، فإن صلاة استدعاء الروح القدس، وهي ذات صلاة استدعاء الروح القدس في القداس المرقسي: "ارسل لنا من علوك المقدس ... البارقليط روح القدس ذو الأقنوم القوي المحيي الناطق في الأنبياء المالئ الكل الفاعل الكل"، وهنا نلفت النظر إلى أن معنى الكلمة القبطية الواردة في هذه الصلاة قد ضاع باستخدام كلمة "الفاعل"؛ لأن الكلمة القبطية هي ⲫⲏ ⲉⲧⲉⲣⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲛ وهي تعني يعطي ويفعل؛ لأن القوة أو الفعل هو عمله الأقنومي الذي لا وجود له بدون الأقنوم ولا يُعطى بغير الأقنوم، ولذلك تقول الصلاة:

"الفاعل الكل بسلطانه في طبيعته،

ينبوع المواهب الإلهية،

المساوي معك،

المنبثق منك،

المشارِك كرسي مُلك مجدك" (ص ٣٧٩–٣٨٠).

وفي تقديس الهيكل تقول الصلاة:

"يا من أرسل على رسله القديسين روح قدسه المعزِّي المنبثق من الآب. أنت الآن أيضاً أرسله على عبيدك" (٤٢٦-٤٢٧).

وبتوسل نطلب البارقليط (ص٤٣٥-٤٣٦)، بل الروح القدس هو الشريك الذي يخدم مع الكلمة (٤٤٣) والبارقليط هو "النعمة التي أفضتها على رسلك القديسين الأبرار، لم تنزعها منا" (ص ٤٥٥).

وفي صلوات الرسامات نجد كلمات لا تتغير:

"املأنا من قوتك الإلهية

ونعمة ابنك الوحيد

وفعل روحك القدوس" (ص ١١٩-١٢١).

فهل القوة الإلهية هي غير النعمة، وغير ⲧⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ؟

* القوة الإلهية، بسبب ضعف الإنسان وعدم قدرته أن يقترب من الله.

* نعمة الابن الوحيد، لأنه الوسيط الواهب الشركة في الحياة الإلهية.

* وفعل الروح القدس؛ لأنه هو العامل؛ لأن بقية الصلاة تقول:

"لنكن مستوجبين لهذه الخدمة لعهدك الجديد باستحقاق أن نحمل اسمك القدوس، ونخدم كهنوت أسرارك الإلهية" (راجع ص ١٢١).

لأن الخدمة هي وضع اليد "بحلول الروح القدس" (راجع ص ١٠٤)؛ لأن الذي يقام للخدمة لا يخدم بقوته، بل لأنه دُعِيَ لأن "يكمل خدمة كهنوت الرب يسوع نفسه" (ص ٣٩).

وأخيراً ماذا نقول وقد وجدنا ذات المصطلح اللاهوتي في صلاة إقامة القس:

"نعم يا رب اسمعنا. نطلب إليك أن تحفظ فينا أيضاً الروح القدس الذي لنعمتك غير المصنوعة" (ص ٢٩٧ وتكرر ذات المصطلح في ص٩٦).

"هؤلاء الذين ملأتهم من الروح القدس غير المصنوع المنبثق منك".

غير المصنوع أو غير المخلوق **Ⲁⲥⲙⲟⲩⲛⲕ**

غريغوريوس بالاماس والدفاع عن الأرثوذكسية:

كان هجوم برلعام *Barlaam* يستند على أساس فلسفي واحد، وهو أن المعرفة واحدة، وأن أعلى درجة للمعرفة هي المعرفة العملية والفلسفية، وأن للحق مرجعية واحدة، وهي معرفة الإنسان، وأن لدى الإنسان حكمة واحدة.

ضد هذا كتب بالاماس في الجزء الثاني من الثلاثية رداً على برلعام مؤكداً أنه توجد حكمتان؛ لأن الحكمة الأولى نافعة، وهي معرفة العلوم الدنيوية (راجع ترجمة دير الحرف ٢، ص ١٩، فقرة ٥). ولكن الحكمة الأخرى هي أعظم؛ لأنها ليست معرفة الكائنات (المرجع السابق فقرة ٧ ص ٢١)، بل هي كما يقول بالاماس: "حكمة يمنحها الروح القدس لمعرفة الله، وأنه توجد في الواقع طريقتان للتفكير: الأولى دنيوية، والثانية هي رؤية θεά معرفة الله بواسطة الروح القدس. بل إن الهبات الإلهية نوعان: الأولى هبات خاصة بالطبيعة: "أنعم بها الله علينا بالطبيعة ونحن قادرون على أن ننميها بالتدريب. إنه لا يتلقاها أحد بدون تدريب". لكن الهبة الأخرى هي: "حكمتنا الإلهية، فهي هبة من الله بالحقيقة قد منحها الروح القدس، وهي ليست هبة طبيعية .. فالله يعطي المعرفة للإنسان، ولكن قليلون هم الذين اقتنوا حكمة الروح القدس .." (٢: ١٢ ص ٢٥).

هذا هو ثقب القارب الذي تسبب في غرق الكثيرين من الذين ركبوا قارب

الفكر العقلاني غير المستنير بنور الروح الإلهي. فالفرق بين المعرفة الفلسفية والعلمية أنها خاصة بالفطرة، بل "تنتقل بالوراثة ابتداء من الأبوين" (٢: ٢٨ ص ٣٩). ولكن هذه المعرفة الذاتية لا تفيد بالمرة؛ لأن النور العقلي الطبيعي له مصدر طبيعي وهو الإدراك، وهو بلا شك أحد قوى العقل، ولكن هذا لا يفيد؛ لأن الإنسان عليه أن يتفوق على ذاته وأن يتجاوز ذاته (الإدراك) ويتحد بالله" (٢: ٢٩ ص ٤٠). لأن الفلسفة تظن أنها قادرة على استيعاب وإدراك جوهر الله ذاته، وكأن الله هو أحد المخلوقات. فالخطأ هو حسب عبارات بالاماس نفسه هو: المساواة "بين المواهب الطبيعية والمواهب الفائقة الطبيعية" (٢: ٣٠ ص ٤١).

ومن هنا نشأت المشكلة، وهي ليست فلسفية كما يبدو على السطح، بل هي أحد مكونات اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي التي تصطدم بمنهج الفلسفة اليونانية للأسباب الآتية:

أولاً: اللاهوت السلبي *Apophatic* يرفض تحديد الله بألفاظ تُستخدم للكائنات والموجودات المادية؛ لأن الله فوق الإدراك العقلي، ولا يمكن إدراكه بأي لفظ مهما كان.

ثانياً: أمَّا اللاهوت الايجابي *Cataphatic* فهو لاهوت استعلان الله نفسه بالروح القدس، بالنور الإلهي غير المخلوق، وبالنعمة غير المخلوقة؛ لأن الابن له المجد مُعلِن الآب، هو "حكمة الآب الأقنومية"، والروح القدس الذي يؤلهنا لكي يستعلن فينا معرفة الله... أمَّا الإنسان الدنيوي، فهو عديم النور الإلهي، ولا يمكنه أن يقبل ما هو فائق الطبيعة ويعلو على إدراك الماديات؛ لأنه عندما يحاول أن يعرف، يهبط إلى الدرجة الأدنى للمعرفة، وهي المعرفة الحسيِّة. وعندما تُقدَّم إليه المعرفة الروحية الفائقة لكل ما هو مادي، فهو يرفضها لأن إدراكه العقلي متكبر" (عظة ٣٤ في مجلد مختارات من عظات الآباء – اثينا – *Foe press* ص ١٩٧).

الحكمتان والجوهر والقوة الإلهية:

الجوهر، أو الحياة الإلهية غير قابلة للتعريف؛ لأنه رغم تجسد الابن وحلول الروح القدس فينا، إلَّا أن الحياة الإلهية فوق التعريف. وحسب بالاماس، لا يمكن الوصول إلى معرفة الله بواسطة أي وسيلة مخلوقة أو بواسطة الدراسة؛ لأن الله ليس موضوعاً فلسفياً يخضع للحكمة الأولى، أي القدرات الطبيعية العقلية الإنسانية، ولذلك يقول بالاماس: "مَن يتكلم عن الله ليس كَمَن يشترك في الله". وقد شرح هذا بوفرة في مقال جيد جداً عن الصلاة (مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١٥٠ عامود ١١١٧ B)؛ لأن الدراسة هي انشغال العقل والإدراك، بينما الصلاة والتأمل هي التي ترفع الإدراك لقبول "النعمة غير المخلوقة"، أي قوة الإدراك التي يغرسها الروح القدس بشكل مباشر في العقل.

القوة الالهية أو الأعمال الالهية أو حتى الطاقة أو الطاقات *energies* ليست من هذه الخليقة، هي تدخُّل إلهي وعمل إلهي يقوم به الثالوث نفسه. إذن، فالمعرفة الدنيوية *Kosmike Gnosis* ليست طريقاً للخلاص، فهي ليست معرفة الله *Theognosia* التي يعطيها الروح القدس بتدخُّلٍ مباشر واستعلان استنارة بالنور غير المخلوق؛ لأن النور الإلهي نفسه هو الذي يعطي للإنسان الإدراك. ويقدم بالاماس يوحنا المعمدان أعظم مواليد النساء (متى ١١: ١١) مثالاً لذلك، ويقول إنه لم يكن لديه ثقافة دنيوية "تلك التي يقولون إنها تعود إلى الله، لأنه لم يكن قد طالع الأسفار"، ولكن المسيح جاء إلينا لكي يجدد الصورة، ويعيد تلك الصورة إلى المثال الأصلي، ليس بالثقافة الدنيوية .. لأنه جاء لكي يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة؛ "لأن كلمة الله الذي أتى إلينا بالجسد هو الذي صار لنا حكمةً من الله" (١كو ١: ٣٠)، وهو النور الذي ينير كل إنسان آتٍ إلى العالم (يوحنا ١: ٩) وطلع الفجر وأشرق كوكب الصبح في قلوبنا (٢بطرس ١: ١٩) نحن المؤمنين، وهؤلاء الذين آمنوا هم بحاجة إلى "فتيلٍ خاصٍ يأتي بهم إلى معرفة الله بعيداً عن الفلاسفة؛ لأنهم ينصحون الآخرين أن يدركوا ضرورة الابتعاد عن المصباح المدخن" (الثلاثية الأولى ١: ٥ طبعة *Chrestou* ص ٣٦٥-٣٦٦ – راجع

طبعة دير الحرف ص ٣٢، وراجع أيضاً دراسة الأب ماينـدروف السابق الإشارة اليها ص ١١٧).

المعرفة الإلهية هي استنارة بالنور غير المخلوق؛ لأن الله لا يُعتَلَن بالعقل فقط، بل كما يقول غريغوريوس النزينزي: "الإلهي يطهِّر مَن يريد أن يتطهَّر، وهو بهذا التطهير يخلق البشر الذين لهم هيئة الله ... لأنهم في الله يعرفون الله، ولأنهم باتحادهم بالله منذ الآن قد اكتسبوا هيئة الله، ويدركون بقدرة إلهية، عطايا الروح القدس (نِعَم الروح القدس الإلهية) التي لا يقدر أن يشخص إليها (يعاينها) مَن ليس له هيئة الله ويبحثون فقط عما حول الله" (راجع الثلاثية الثالثة، دير الحرف، ص ١٠٢ – ١٠٣).

وقد تضايق بالاماس جداً من برلعام لأنه كان يعتقد بأن "نعمة الروح القدس المؤلِّهة هي مخلوقة، لم يكن ذلك عن جهل، بل عن سوء نية" (المرجع السابق، فقرة ٥، ص ٢٣)، ولذلك يقول بالاماس: أن هذه النعمة "ليست ضمن الطبيعة" (المرجع السابق، ص ٤٢، ٤٣).

فما هو النور الإلهي؟

في الثلاثية الأولى، البحث الثالث، ابتداءً من الفقرة الخامسة (ص ٧٨ وما بعدها طبعة دير الحرف) يؤكد بالاماس ما يلي:

– "عندما يعاين القديسون هذا النور الإلهي في داخلهم، فإنهم يعاينونه حيث يقتنون شركة الروح القدس المؤلِّهة .. فهم يعاينون رداء تأليههم، إذ يكون ذهنهم ممجَّداً بنعمة الكلمة وممتلئاً بهاءاً عجيباً في جماله. مثلما مَجَّدت إلوهة الكلمة –بنورٍ إلهيٍّ على الجبل (طابور)– الجسدَ الذي كان ملازماً له. لأن المجد الذي وهبه الآب إياه، وَهَبَه هو (المسيح) لمن أطاعوه" (يوحنا ١٧: ٢٢)، وشاء أن يكونوا معه ويعاينوا مجده (يوحنا ١٧: ٤) (ذات المرجع ص ٧٨). هو "معاينة نور المسيح ذاك الذي كُشِفَ للتلاميذ على جبل طابور .. ولذا مكاريوس المغبوط فعلاً (العظات الروحية ١٢: ١٤) يسمي هذا النور

"غذاء الكائنات الفائقة السماوية" (المرجع السابق ص ٧٩).

"ذلك النور لم يكن مجرد (نور حسي) وإن كان قد ظهر على وجه النبي (موسى) فالقديسين اليوم، حسب القديس مكاريوس، يتقبلون في نفوسهم المجد البادي على وجه موسى. وهذا الأب (مكاريوس) يدعو هذا النور: "مجد المسيح"، ويعتبره فوق الحواس، وإن كان ظهوره يُدرَك بالحواس، إنه يبرز قول الرسول التالي مع إضافة صغيرة عليه: "نحن جميعاً الذين نعاين صورة مجد الرب بوجوهٍ مكشوفة كما في مرآة، أي نوره العقلي، نتحول إلى تلك الصورة ونزداد مجداً على مجد، أعني من خلال مزيد النور الذي فينا والذي بفعل النور الإلهي يزداد وضوحاً على الدوام (٢كو ٢: ١٨) ... هل تفهم جلياً أيها الأخ أن الذهن المتحرر من الأهواء يعاين ذاته كنور أثناء الصلاة ويستضيء بنورٍ إلهيٍّ؟ مقاريوس المغبوط حقاً الذي يسميه نيلوس الالهي "إناءاً مختاراً"، ... يقول إن استنارة الروح الكاملة ليست فقط مثل كشف أفكار، بل هي استنارة **نور أقنومي** مستمرة وثابتة في النفس ... الذي قال ليشرق نور من الظلمة هو اشرق في قلوبنا (٢كو ٤: ٦) وأنر عيني لئلا أنام موت الموت (مز ١٢: ٣) ... قال "**أقنومياً**" لكي يسكت الذين يحسبون المعرفة وحدها استنارةً، ويبلبلون عقل الكثيرين وعقلهم هم أولاً بتفسيرهم الكاذب لكل ما قيل عن ذلك النور ونسبهم إياه للمعرفة .. لم يسمِّ أحدٌ يوماً المعرفةَ الناتجةَ عن الحواس نوراً ... الله نفسه يعلو على كل نور عقلي ويتسامى على كل جوهر بصورة فائقة الجوهر، يدعوه اللاهوتيون "ناراً". إنه يمتلك في ذاته هذا الطابع السري غير المنظور .. ولكنه عندما يستخدم مادة مناسبة .. مثل أي طبيعة عقلية نقية لا تختفي تحت حجاب الشر، حينذاك يظهر هو كنورٍ عقلي" (الثلاثية الأولى، البحث الثالث، فقرات من ٥-٩ ص ٨٠-٨٢).

النور الإلهي يُستعلن بالمحبة:

ويقول بالاماس: "يتراءى الله اليوم لمن تطهروا بالحب، ولكن سيأتي يوم سيتراءى فيه لهم وجهاً لوجه كما قيل (١كو ١٣: ١٢) ... إن الله لفائض محبته لنا، وهو الذي

يفوق (المتعالي) على كل شيء وغير المدرَك، والفائق الوصف، يرضى بأن يُشرِك عقلنا به، وأن يُرى بنحو غير مرئي في عزَّته الفائقة الجوهر والممتنعة الانفصال (غير قابلة للانفصال)" (الثلاثية الأولى، البحث الثالث: ١٠ ص ٨٣).

النور الإلهي هو ما يُوهَب في المعمودية:

أحد أسماء المعمودية القديمة جداً هو "النور". والذين اعتمدوا يوصَفون باسم "المستنيرين". وفي صلاة خاصة بالموعوظين تطلب الكنيسة أن "يضيء الآب عليهم بنور المعرفة. لأن البشر دُعُوا من "الظلمة إلى النور". والمعمودية هي "النور الطاهر .. أضيء عيون أفهامهم بنور المعرفة"، بل هي "النور وخاتم المسيح".

وفي صلوات القداسات يوصَف الرب يسوع المسيح بأنه هو:

- ضياء نفوسنا
- الذي أظهر لنا نور الآب
- النور الحقيقي الذي أشرق للضالين

وفي قداس مارمرقس

- خلقت كل الأشياء بحكمتك، نورك الحقيقي ابنك الوحيد

لأننا عندما نقتبل هذا النور الحقيقي الذي أنعم به الرب يسوع علينا، لا سيما بقيامته المقدسة، "أَنعمَ علينا بنور قيامته من قبل تجسده الطاهر، فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقية لنضيء بشكلك المحيي".

أنوميوس ومطران دمياط:

عندما اتهم بالاماس برلعام بأنه "هرطوقي حقيقي" (الثلاثية الثالثة ص ٩٠ طبعة دير الحرف)، وقبل ذلك اتهمه بأنه مشركٌ بالله (الثلاثية الثالثة: ١٩، ص ٧٩ طبعة دير الحرف)؛ لأنه يؤمن بأن القوة الفاعلة هي غير الله، وتعطي ما هو إلهي وهو الحياة الأبدية غير المخلوقة. وتعدد القوى الإلهية يعني –حسب اعتقاد برلعام– "كثرة آلهة"؛ لأن هذه القوى الإلهية انفصلت عن الله، وصار لها قوة إلهية فاعلة في حياة البشر وهي ليست الله" (المرجع السابق، ص ٧٩، ٨٠) ولكن كل قوة إلهية هي أعمال جوهر الله؛ لأن الكائنات المخلوقة من العدم تنال هذه القوة الإلهية لكي تشترك في حياة الله نفسه، فهي ليست قوة منفصلة عن الله، بل هي قوة غير مخلوقة لأنها قوة إلهية من جوهر الله، وهذا يقودنا إلى:

السؤال الأرثوذكسي:

هل القوة المؤلِّهة هي إلهية أم هي قوة مخلوقة؟

يقدِّم بالاماس اقتباس هام من ديونيسوس الأريوباغي يؤكد إلوهية العطية، وأن مصدرها الحقيقي هو الله نفسه "حسب عبارة ديونيسوس العظيم، إن لم تكن العطية المؤلِّهة تُدعي إلوهة آتية أزلياً من الله الكائن الأزلي حسب مكسيموس (المعترف)، إذا لم يكن الأمر كذلك (أي إذا لم تكن النعمة غير مخلوقة وإلهية)، فالمؤلَّهون يكونون مشاركين لطبيعة الله ويكونون الله بالطبع ... كيف للإنسان، إن لم تكن النعمة بلا بداية، أن يصير دون بداية، بمشاركته للنعمة، ويصبح كل إنسان مثل ملكي صادق بلا بداءة أيام ولا نهاية حياة (عب ٧: ٣) (أي مثل الرب نفسه عندما يأخذ الحياة الأبدية التي لا بداية لها ولا نهاية لها). ومثل كل إنسان يحيا على غرار بولس، من الحياة الإلهية الأبدية التي للكلمة الساكن فيه. (المرجع السابق ص ٩٧ – ٩٨). فهناك إذن إله واحد وإن قيل إن النعمة الصادرة من الله هي نعمة مؤلِّهة "النعمة الصادرة عن الله هي الله" (المرجع

السابق ص ١٠١).

والإجابة على السؤال الأرثوذكسي ذات دلالة بالغة الأهيمة والخطورة:

أولاً: إذا كانت النعمة مخلوقة، تنتمي إلى الطبائع المخلوقة من العدم؛ صار الخلاص هو بواسطة كائن مخلوق من العدم رَدَّ إلينا نعمة طبيعية تصل إلينا بوسائل طبيعية وليست من الله، وهذه هي الأريوسية.

ثانياً: إذا كانت النعمة هي قوة أو طاقة –مع أن الكلمة اليونانية تعني أكثر من ذلك، فهي كلمة معروفة في علوم الفيزياء والكيمياء وغيرها، ودخلت كأحد مكونات *Quantum Mechanics*– لكن عمل الروح القدس أو الابن المتجسد ليس مجرد ενεργεια بل هي العمل الأقنومي الذي يرد الإنسان إلى حياة أقنومية (شخصية) في الحياة الأبدية لكي يعلو على الطبيعة؛ لأن السقوط هو خضوع الأقنوم أو الشخص للطبيعة، أي طبيعة آدم الفاسدة، والفداء هو تحرير الشخص أو الأقنوم من سلطان الطبيعة الفاسدة، والطبيعة الجديدة هي طبيعة شخصية متأقنمة بالاتحاد بالله، وهو اتحاد لا يمكن أن يتم بواسطة طاقة أو قوة عمياء تعمل كطاقة بدون الأقنوم، بل هي عمل الأقنوم نفسه؛ لأن أثناسيوس العظيم يقول:

> "لأنه صار إنساناً لكي يؤلهنا نحن فيه وولد من امرأة عذراء لكي يحول إلى كيانه جنسنا العاصي لكي نصبح فيما بعد جنساً مقدساً وشركاء الطبيعة الإلهية كما كتب بطرس المبارك" (الرسالة إلى أدلفوس ٤، راجع ص ٥٧٦ من الترجمة الإنجليزية).

وهكذا يكون الأنبا بيشوي قد وضعنا خارج أقنوم الله الكلمة المتجسد لأجلنا!

ثالثاً وأخيراً: جاء تمييز بالاماس في وقتٍ كادت الفلسفة اليونانية أن تصبح فيه البديل لمعرفة الله اللاهوتية في اللاهوت كاستعلان في المسيح رب المجد. وكادت معرفة الله

تصبح معرفة فلسفية خاضعة لعقل الانسان وحده، وللتحليل الفلسفي، وهذا ما دعى بالاماس أن يكتب عن "حكمتين" وعن أنواع المعرفة، وأن المعرفة التي تشرق في الكيان الإنساني هي النور الإلهي غير المخلوق، وأن معرفة الإنسان بالله لا تصل إلى معرفة حقيقة جوهر الله أي كيانه الإلهي؛ لأن هذا يجعل الإنسان مساوياً لله وقد تألَّه بالمعرفة لا بالشركة التي تُعطى حسب المحبة، وحسب تدبير الخلاص. وعطاء الله هو عطاءٌ إلهي من الأقانيم لشركتنا في الحياة الأقنومية للثالوث. وهذه الشركة هي شركة معلَنة؛ لأن جوهر الله ليس مستباحاً أمام عقل الإنسان ورغبة في الاكتشاف. لقد أراد بالاماس بلغة العصر أن يقول إن الشركة في:

– النعمة،

القوة الفاعلة،

لا تجعلنا قادرين على استيعاب حقيقة الله،

ولكن هذه الشركة تجعلنا في شركة ما هو غير مخلوق، وهو الحياة الأبدية الخاصة بالله نفسه، والتي وُهبَت لنا في أقنوم الابن بالروح القدس، ولا وجود لها خارج الله.

نحن لا نطلب عثرةً أو سقوطاً لأحد؛ لأن محبتنا المسيحية لا تسمح لنا بأن نفرح بمن يسقط، بل بالحري نحزن، ولذلك نرجو من مطران دمياط الابتعاد عن هرطقة أنوميوس لأن هذه الهرطقة تنفي عمل الله الثالوث المباشر.

فصل القوة أو الطاقة أو العمل الإلهي يهدم الحياة الليتورجية:

الجيل الذي لم يستلم الحياة الكنسية من شيوخ ذاقوا حلاوة النعمة وعاشوا في الكنيسة وصاروا شيوخاً بالخبرة وليس بنعمة الكهنوت وحدها ... هذا الجيل رحل عنا وترك المسئولية لجيل آخر ظن أن المسيحية تؤخذُ من تعليم شخص واحد ومن عظاته

ومقالاته، وأنها مجموعة افكار ينظِّمها هذا أو ذاك ليصبح "المعلِّم"، بينما التعليم الكنسي الذي لا يؤخذ من الممارسات الكنسية هو تعليم غير أرثوذكسي، والممارسات الكنسية فيها الدقة الرسولية، وهي التطابق التام بين الصلاة أي العبارات التي تُقال وبين أسلوب أو طريقة قبول النعم الإلهية في السرائر الكنسية.

لا أريد أن اشرح ممارسات الكنيسة ابتداءً من المعمودية حتى نعمة الكهنوت، ولكن سوف اكتفي بالإفخارستيا لأنها:

* ممارسة أسبوعية أو يومية.

* ولأن ما لدينا من صلوات يكفي لتأكيد ما أريد أن أحذِّر منه. وسوف أكتفي هنا بصلاة استدعاء الروح القدس حسبما وردت في القداس السكندري لمار مرقس بعد أن يصلي الشعب: "ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل". يقول الكاهن:

- وأرسل إلى أسفل (التنازل الإلهي)

- مِن عُلوِّك المقدس (الألوهة الفائقة)

- ومن مسكنك المستعد (الابن المتجسد الذي حلَّ فيه ملء اللاهوت).

- ومن حضنك غير المحصور (حيث الابن كوسيط ورأس الكنيسة).

- ومن كرسي مملكة مجدك (ما استُعلِن في العهد الجديد من مُلك الثالوث علينا؛ لأن ملكوت الله قد جاء بقوة).

هذا هو المستوى الإلهي للثالوث.

ولكن بعد ذلك الاستدعاء الذي يسبقه طلب الرحمة:

- البارقليط روحك القدوس

- الكائن باقنوم

- غير المستحيل ولا متغير

- الرب المحيي (ذات عبارة قانون الايمان)

- الناطق في الأنبياء والرسل

- الحال في كل مكان

- المالئ الكل

- ولا يحويه مكان

هذه هي صفات الأقنوم. أمَّا عن عمل الأقنوم، فإن النص القبطي نقلاً عن اليوناني يقول عن البارقليط:

- الفاعل ⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲛ (وهنا جاءت ترجمة ⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ إلى فعل أو عمل)

- بسلطة

- بمسرتك الطهر على الذين أحبهم، وليس كالخادم

- البسيط في طبيعته (لا تركيب في الطبيعة الإلهية)

- الكثير الأنواع في فعله ⲧⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ

- ينبوع النعم الإلهية.

وهذه العبارات الأخيرة، لا سيما كلمة "الينبوع"، تؤكد أن ما يُعطى، هو ما يملكه الأقنوم ويوزِّعه

- المساوي لك

- المنبثق منك

- شريك كرسي مملكة مجدك

- وابنك الوحيد ... ربنا وملكنا كلنا يسوع المسيح

بعد كل هذا، أين هو الروح القدس البارقليط؟

- علينا نحن عبيدك

- وعلى هذه القرابين

- التي لك ....

- على هذا الخبز وعلى هذه الكأس لكي يتطهرا وينتقلا.

وانتقال الخبز والخمر إلى جسد ودم الرب جسد المسيح ودم العهد الجديد الذي للرب يسوع، ليس عملاً لقوةٍ عمياء، بل هو عمل الأقنوم الذي ينقل المؤمنين والكنيسة كلها والقربان على المذبح إلى الحياة الإلهية، فلا يظل الخبزُ خبزاً ولا الخمر خمراً[١] وتنسكب حياة الابن بالروح فينا، ونصبح نحن جسد المسيح؛ لأن صلاة القسمة من ذات القداس تقول:

"أعطنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح التي
هي الجسد المقدس والدم الكريم اللذين لمسيحك ... بل انعم لنا بروحك

---

(١) أقول للأخوة الذين يتطاولون على هذا السر أن عدم الشركة في جسد الرب ودمه الحقيقي يحولكم إلى موعوظين وينزع عنكم صفة المؤمنين، وقبولك للمسيح في اجتماعات نهضة هو قبول موعوظٍ، لا قبول مؤمن، أي من ليس له علاقة شركة كيانية بالرب يسوع، وله علاقة عقلية فكرية شعورية فقط.

القدوس لكي بقلب طاهر وسريرة مستنيرة بوجه غير مخزي..".

لأننا بهذا "نُدعى أبناء الله **ونحن وهم** وارثون لك يا الله الآب وشركاء في ميراث مسيحك". وعندما سألت الأستاذ يسى عبد المسيح: مَن هؤلاء الذين تشير لهم الصلاة بعبارة: "**نحن وهم**"؟ نظر إليَّ طويلاً وقال: ليس قديسي الكنيسة وحدهم، ولكن حسب قول الرسول بولس: "ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٧)، فإن "**هم**" تعني الكنيسة كلها مع الابن؛ لأن بقية العبارة "نحن وهم وارثون لله يا الله الآب وشركاء ميراث مسيحك".

هل يسمع المطران والذين يصفقون له ولغيره، صوت التسليم الكنسي؟ لأننا بعد ذلك نسمع صوت الكنيسة:

- "نصير شركاء الجسد،

- وشركاء في الشكل (أي شكل آدم الجديد الذي تجلى على جبل طابور)، وهو ما تقدمه صلوات خدمة المعمودية في كل الكنائس الأرثوذكسية لا سيما في رشومات الميرون، وقبل ذلك في تقديس المياه:

- حياة أبدية،

- لُباس غير فاسد،

- نعمة البنوة،

- تجديد الروح القدس (وليس تجديد طاقة أو قوة).

- وشركاء في خلافة مسيحك (أي ميراث الملكوت السماوي).

هل بعد هذا، يمكن لأي إنسان يريد أن يسلك الطريق المستقيم، أي الطريق

الأرثوذكسي، أن يدَّعي أننا ننال قوةً بدون شركة في الأقانيم، وأن هناك طاقة تعمل بدون الأقنوم؟

إن ما يهدم الحياة الليتورجية هو ذلك الغموض، عندما تتحول العلاقات الشخصية، أي الأقنومية بيننا وبين الله الثالوث إلى علاقة بقوة أو طاقة وننسى المحبة الفعالة التي لا يمكن أن يكون لها وجود أو كيان خارج الله؛ لأنه في نهاية المطاف "الله محبة". وعندما يسكب الآب الروح القدس فينا، فإننا بهذا الانسكاب نحب، وبهذا الانسكاب نجد العلاقة الشخصية (الأقنومية) التي ترفعنا فوق تسلط الطبيعة إلى حرية مجد أولاد الله.